AHMED RAHAL

أحمد مصطفى الرحّال

شارك في الإعداد : رفائيل لوزون

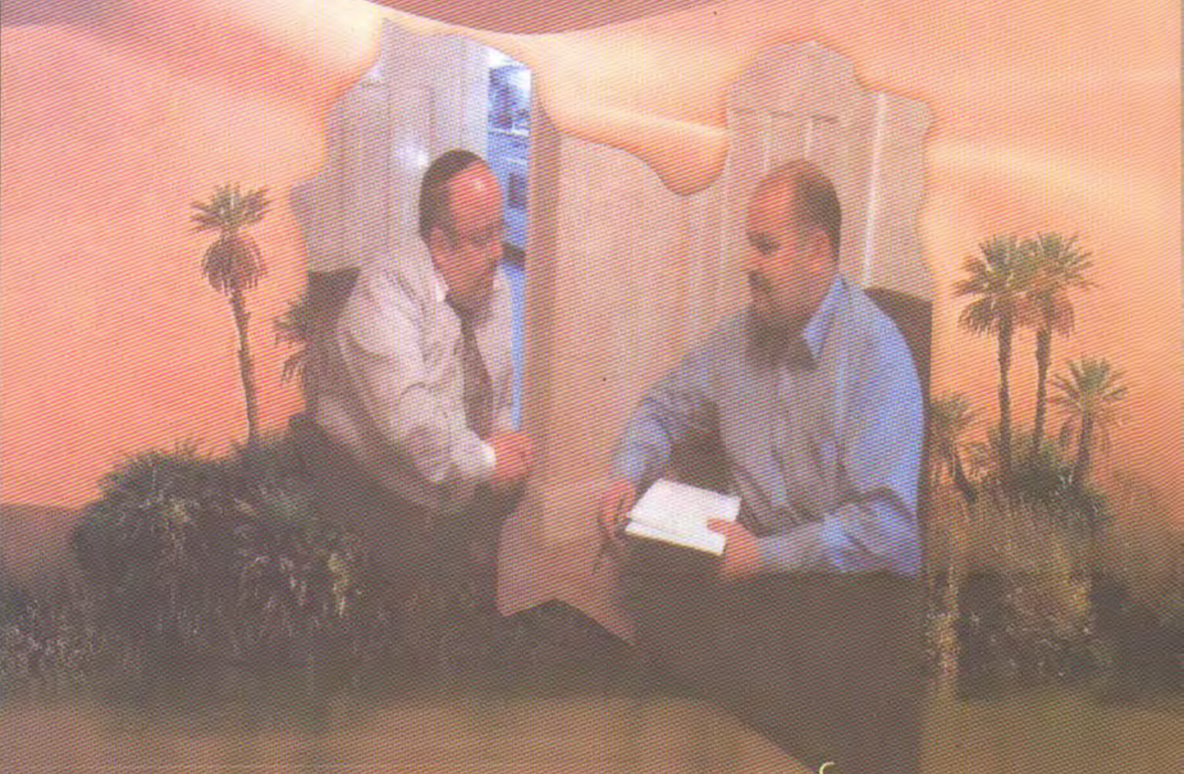

سألتهم فتحدّثوا

دراسة حول يهود ليبيا

منتديات الطريق الى السنّة
http://www.way2sunnah.com/vb

سألتهم فتحدّثوا
دراسة حول يهود ليبيا

http://www.way2sunnah.com/vb
منتديات الطريق الى السنّة

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

سألتهم فتحدّثوا :دراسة حول يهود ليبيا / فكر ـ سياسة
أحمد مصطفى الرحّال / مؤلّف من ليبيا
شارك في الإعداد : رفائيل لوزون
الطبعة الأولى ، 2008
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب 5460-11 ، هاتفاكس : 751438 / 752308 1 00961
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب 9157 ، هاتف 5605432 6 00962 ، هاتفاكس 5685501 6 00962
e-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الإلكتروني: www.airpbooks.com
الإشراف الفنّي وتنفيذ الغلاف :
®
تصميم الغلاف : **المؤلّف**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر / بيروت، لبنان**
التنفيذ الطباعيّ : **مصطفى قانصو للطباعة والتجارة / بيروت ، لبنان**

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in any retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات ، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر .

ISBN 978-9953-36-233-5

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

أحمد مصطفى الرحّال

شارك في الإعداد: رفائيل لوزون

سألتهم فتحدّثوا

دراسة حول يهود ليبيا

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

تعليق على العنوان

سألتهم كما يسأل أي سائل مسؤوله يريد منه إجابة محددة ، ولكنني فوجئت بهم يتحدثون ، لا كما يجيب المسؤول بل كما يريد أن يتحدث إنسان ابتداء من دون الحاجة إلى من يسأله ، فسألت نفسي إن كانوا في حاجة إلى من يسألهم ، ولكن الإجابة كانت أنهم تحينوا فرصة مع من ظنوا أنه سيستمع إليهم لكي يوصل صوتهم إلى مجتمع قالوا عنه إنهم أحبوه لأنه مجتمعهم ولكنه ظلمهم .

بل زادوا معبرين إنهم يحبون أن تبدو ليبيا للعالم أم شعب متسامح محب حكيم هو الشعب الليبي الصابر ، الذي عانى الظلم بأنواعه فواجه المعتدي المستعمر بقوة ، وصبر على أذى أبنائه بثبات وحكمة .

ربما يقرأ القارئ نتيجة هذه الحوارات فيصل إلى نتيجة أتمنى ألا أشكلها أنا وحدي ؛ لأنني هنا لست ناطقًا بصوت أحد بل أنا ناقل وعامل على فتح أبواب للتعارف ومد الجسور بين من انقطع بعضهم من بعض ، فلربما اكتشفوا جميعًا أن الأمر أسهل بكثير مما صورته سياسة التعقيد المسماة بـ(السياسة) وأساطينها .

جمعت ما تيسر لي من حوارات ، ولكنني أحببت أن أقدمها في ثوب دراسي توثيقي تأصيلي بقلم أديب لا ينقل حوارًا صحفيًا تنشره صحيفة يومية لتدوسه أقدام من لم يقرأوه بعد دقائق من نشره ، بقلم أديب أردته أن يصور

بالخلفيات والمشاعر ما رأيته في أنفاس من تحدثوا وفي عيونهم وحركات أيديهم ورعشاتهم وتلعثمهم ، متعثرين في الدموع حينًا وفي الضحك حينا ، وفي الخوف أو الحزن حينا وحينا .

في هذا الكتاب

قسمت هذه المادة على ثلاثة أقسام رئيسة ، هي :

* مقدمات وتوضيح .
* هكذا تحدثوا .
* خلاصة واستنتاجات .

في المقدمة والتوضيح ذكرت سبب اختياري هذا الموضوع وأهميته ، ووزعت هذه المقدمة على مجموعة من العناوين ، هي :

- المقدمة التي ذكرت فيها السبب .
- مبحث مختصر من القرآن الكريم أبين فيه أهمية التعامل مع مثل هذا الموضوع .
- بعض الإشارات التاريخية تسهل على القارئ معرفة أبعاد القصة وخلفياتها .
- حوار مهم مع الفنان الليبي المعروف الأستاذ مختار الأسود يتحدث فيه عن بعض ذكرياته المتعلقة باليهود الليبيين .

في مادة الكتاب (هكذا تحدثوا) مجموعة من القصص والشهادات التي نقلتها على ألسنة من تحدثوا ، وهم المجموعة المختارة من اليهود الليبيين وغيرهم ، في محاولة لتوثيق تلك الشهادات والقصص لأقدمها للقارئ ولأفتح بها أبواب النقاش في مسألة شائكة ومعقدة ، وتحتاج منا إلى النظر والدراسة والتحقيق .

هذه المجموعة المختارة هي :

- رفائيل لوزون رئيس الجالية اليهودية الليبية في لندن ونائب رئيس جمعية يهود ليبيا في العالم .
- رفائيل فلاح الكيش رئيس جمعية يهود ليبيا .
- آلدو حبيب يهودي ليبي مقيم في لندن .
- صمويل الزروق يهودي ليبي يقيم هو وأخواه والعائلة في ليفورنو بإيطاليا .
- جانكارلو كونسولاندي مسيحي إيطالي ولد في ليبيا وعاش فيها إلى سن العشرين من عمره تقريبًا .
- دانيال فرجون وأبوه ايميليو فرجون ، وهما يهوديان إيطاليان من أصول ليبية .
- رفائيل جناح يهودي ليبي إيطالي في روما .

وفي الخلاصة حاولت أن أجمل مادة الكتاب لأخلص إلى التالي :

* تعريف اليهودي الليبي كنتيجة .
* خلل غياب التعدد الثقافي أو تغييبه عن المجتمع الليبي .

هذه المادة التوثيقية ستكون مصحوبة بصور ووثائق ومستندات ربما تكون مهمة وتيسر للقارئ مسألة القراءة والمتابعة .

مقـــدمـــة

كنت كلما طلب مني أحد الزملاء الأدباء والكتّاب كتابة تقديم لمؤلفاتهم (وقليل من يفعل ذلك) كنت أقابل ذلك بالاعتذار ، وكلما طالبني بعضهم وزاد في المطالبة والإلحاح كنت أواصل اعتذاري حتى يصرفوا النظر عني ويحاولوا مع غيري .

ويعود مبدأ الاعتذار عن كتابة مقدمات الكتب إلى سبب في غاية البساطة ؛ وهو أن الكاتب عليه أن يقدم كتابه للقارئ دون تعريف به ولا بالكتاب ، وأعتقد أنه لا يجب أن تكون هناك واسطة بينهما ، وعلى القارئ أن يكتشف الكتاب من خلال قراءته له في مُجمل فصوله ، وليس من باب الدعاية للكتاب والكاتب عبر مقدمة التأليف ، التي غالبًا ما تكون تزكية للكاتب إلى القارئ وهى التي تضيف تحسينات أو تجميلاً للصورة وتقديمها إلى القارئ بأوصافها الرائعة والجميلة .

***

فى حالة هذا الكتاب كان الأمر مختلفًا جدًا . . فعندما طلب مني صديقي العزيز الأستاذ «أحمد الرحال» قراءة كتابه والاطلاع عليه ثم كتابة مقدمته ،لم أعتذر لأسباب كثيرة ، منها : أن الصديق العزيز غاب عن ليبيا الحبيبة سنوات طويلة ، وعاد إليها يسبقه الحنين إلى ربوعها الطاهرة وأجوائها

النقية ، فلم أشأ أن أفسد عليه روعة خيالاته بطهارة الربوع ونقاء الأجواء ، يضاف إلى ذلك سلامة القصد وصفاء النية من تأليف هذا الكتاب ، كما أن مضمونه وما يحتويه يشجعان على المشاركة في تقديمه ، فقد جاء في وقته ، المناسب بعد عديد الإصدارات التى تابعتها وصدرت خلال الفترة الماضية ، وكانت تتناول اليهود في ليبيا بشكلٍ عام ، سواء ما صدر منها باللغة العربية أو ما تُرجم إليها من لغات أخرى .

لقد استطاع الكاتب أن يكون ملتزمًا بالحياد إلى حدٍ بعيد جدًا ، فكان في محاوراته يهدف إلى بيان الحقيقة بعيدًا عن الشطط والمبالغة ومحاولة تغليب رأي على رأي آخر ، وبذلك تمكن من أن يفتح الأبواب والنوافذ على كل الاتجاهات ، في محاولة جادة ولا شك أنها مثمرة نحو تسليط الضوء على مواقع في جسم الوطن كانت مختفية عن الأنظار إلى سنوات طويلة .

أبناء الوطن .. ظلمونا وظلمناهم ..

ليست لي دراية بما حدث في الأربعينيات إلا من أفواه كبار السن من أفراد العائلة ، ممن كان يحكي لنا عما لحق باليهود وتحديدًا بما كان يُعرف بالثورة على اليهود ، وهي النتائج المؤسفة وأحداثها التي صاحبت ماحدث في فلسطين .

أما الأحداث التي وقعت في ١٩٦٧/٦/٥م فقد عايشتها وتابعت أحداثها عن قُرب ؛ فقد كان عمري في ذلك الوقت (١٥) سنة ، وكان منزلنا في المدينة القديمة في محلة (باب البحر) وعلى مقربة من حارة اليهود وشاهدت ما حدث .

كانت الأقطار العربية جميعها تغلي على مواقد من جمر خطب «جمال عبد الناصر» الحماسية التي كانت تبشر بتحرير فلسطين ، ولعل من عاش تلك الفترة يتذكر جيدًا ما كانت تفعله إذاعة (صوت العرب) من (القاهرة) .

فى صباح يوم الإثنين ١٩٦٧/٦/٥م كان الناس منذ الصباح الباكر يتابعون

ما يحدث في مصر باهتمام بالغ ، وفي بيان عسكري أذاعته إذاعة (صوت العرب) يفيد أن السلاح الجوّي المصري قد أسقط عددًا كبيرًا من الطائرات الحربية الإسرائيلية . .

كانت الصورة التي تخيلها الناس من خلال سماعهم الأخبار المصرية توحي بأن النصر حليف العرب لا محالة ، إلى بدايات الظهر عندما تحلق الناس حول إذاعة (لندن) وأخبارها وعالم الظهيرة ؛ ليكتشفوا الحقيقة ، وأن ماكانت تذيعه الإذاعة المصرية لاعلاقة له بالواقع ، فعلم الناس أنهم خُدعوا وأن الإسرائيليين هم الذين تفوقوا ، وفي وقتٍ قياسي سريع كانت الضربة الموجعة للمطارات المصرية والتي تحطمت فيها طائراتها وهي في مدرجاتها وفي مخازنها وقبل أن تتحرك .

عندئذ هاجت الناس وخرجت أفواجهم إلى الشوارع ، ولم تجد أمامها سوى الجالية اليهودية لتصب عليها جام غضبها فتحرق كل ما تصل إليه .

كانت الصورة مؤلمة فقد كانت الحرائق تلتهم كل شيء ، المحال التجارية ، المخازن ، الصيدليات ، المصانع ، الورش ، المخابز ، فكل ماكان مملوكًا لليهود كان للحرق والتدمير ، فتحولت مدينة طرابلس إلى فرن كبير .

لم يتمكن البوليس الليبي من إيقاف هذا الدمار الذي لحق فيما بعد بمحال تجارية لليبيين أيضًا ، فتدخلت القوات التي كانت تُعرف بالقوة المتحركة (قوة دفاع برقة) وهي قوات من أفراد تم تدريبهم بواسطة الجيش الإنجليزي على مكافحة الشغب ، وانتشرت في أنحاء مدينة طرابلس كافة ، ونظرًا لتفاقم الوضع الأمني في المدينة فقد اضطرت الحكومة لإعلان حالة الطوارئ ومنعت التجول لعدة أيام ، حتى تتمكن من ترحيل اليهود وتجميعهم في معسكرات الجيش ، ثم سمعنا بترحيلهم إلى إيطاليا .

***

ربما يسأل بعض شباب اليوم عن كيفية المعيشة التي كنا نعيشها معًا؟

كان الجميع أبناء وطن واحد ، كان التسامح الديني بيننا لا مثيل له ، فقد كنا نعيش في شارع واحد يجمع بين أماكن العبادة للأديان الثلاثة ، المسجد والمعبد اليهودي والكنيسة المسيحية ، كنا ونحن صغار تستهوينا مناظر المعابد والكنائس ، فكنا ندخلها ونقف نشاهدهم وهم يؤدون صلواتهم فكانوا يبتسمون لنا ويمسحون على رؤوسنا أثناء خروجهم ، وكانوا يوزعون علينا أسوة بأطفالهم أكياس الحلوى في مناسبات مختلفة ، كما كنا نزورهم في بيوتهم وكانوا يبادلوننا هذه الزيارات ، أما في الأعراس والمناسبات الاجتماعية المختلفة فتقوم العائلات الليبية العربية مع الليبية اليهودية بإعداد الحلويات جنبًا إلى جنب ، أذكر سيدة كان اسمها «نسرية» كانت تقوم بتقديم الحقن الطبية لسكان الحي جميعًا ، فكنا نخافها وهي تلف الأزقة بحقيبتها الجلدية التي تحتوي على الإبر والحقن المختلفة ، كما كانت هناك امرأة أخرى يهودية أيضًا تقوم بتوليد النساء في بيوتهن ، وكانت تساعدهن بتقديم الاستشارات الطبية عن الحمل والإنجاب .

تميز اليهود بشطارتهم وذكائهم في التجارة والصناعة وكسب الأموال ، ولذلك كانت سيطرتهم على الحركة التجارية واضحة من خلال ما لديهم من قدرات وإمكانات ، كما كانوا وراء إثراء عدد من الليبيين ممن عملوا معهم وشاركوهم تجارتهم .

هذا من جانب أننا ظلمناهم ، أما من حيث ظلمونا فقد كان لديهم وعليهم الكثير مما يقال فيهم . . فعلى سبيل المثال كان لبعضهم دوره البارز في التمهيد للاحتلال الإيطالي لليبيا ، من خلال تقديمه للمساعدات لإدارة بنك روما الذي تأسس عام ١٩٠٧ م ، فعمل بعضهم كوسطاء بين البنك وعدد من المواطنين ، وقد استغل بعض اليهود معرفتهم الجيدة بظروف المجتمع الليبي وأحواله ، وقدموا هذه المساعدات للسلطات الإيطالية التي قامت بمصادرة العقارات والأملاك التي

عجز المواطن الليبي عن سداد قيمة القرض الممنوح له مقابل رهنيتها ، كما كان بعضهم يستغل سذاجة المواطن وجهله عن طريق سندات مالية بفوائد غالبًا لن يقدر على سداد فوائدها المتراكمة ، فكان يضطر إلى الاستسلام بحكم القانون عند عدم القدرة على السداد ، فكانت أغلب العقارات التي تمت مصادرتها عبر هذه الطريقة أو بالقوة بعد الاحتلال ، كما أن موقفهم من وحدة ليبيا واستقلالها لم يكن واضحًا ، فقد التزم بعضهم جانب الصمت وعدم المشاركة عندما جاءت لجنة تقصي الحقائق التى أرسلتها الأمم المتحدة لمقابلة الناس ومعرفة رأيهم حول وحدة البلاد واستقلالها ، فكان التاجر اليهودي يقفل محله أثناء مرور أعضاء اللجنة من أمامه حتى لا يضطر إلى إبداء رأيه ، وقد كانت اللجنة تسعى لمعرفة رأي الجميع ، بمن فيهم أعضاء من المواطنين غير الليبيين .

وقد أشيع وقتها أن بعضًا من شباب اليهود تدربوا في قاعدة ويلس الأمريكية ، وهو الأمر الذي أجج الناس ضدهم .

وبهذه المناسبة يبقى السؤال حول موقفهم من الجهاد الليبي ، فهل شاركوا في الجهاد وهل سجن الطليان من اليهود الليبيين وأعدموا كما فعلوا بالليبيين في وقت الاحتلال؟

ما فات مات . . وما مضى انتهى وانقضى . . وها نحن اليوم في عالم جديد . . هل يمكن لنا أن نتعايش مستقبلاً؟ هل يمكن لأفراد من الليبيين اليهود أن يعودوا إلى بلادهم ويعيشوا فيها مرة أخرى؟

لا شك في أن الأجوبة تحتاج منا إلى بذل المزيد من فتح آفاق التعاون والتحاور والتشاور في سياق منظومة القيم التي نؤمن بها ويفرضها علينا ديننا الحنيف . . فهل حان الوقت لفتح المجال أمام جميع أبناء الوطن دون تحديد لديانة أو جنس أو عرق؟

هذا ما سوف نراه في الأيام القادمة .

أخيرًا . .

هنيئًا للوطن الحبيب بأمثال كاتبنا العزيز الأخ أحمد الرحال . . وهنيئًا للوطن بالمتحاورين الشرفاء من أبنائه . . فالوطن أيها الأعزاء هو الذي يسكن القلب والضمير والوجدان . . فنغادره نحن ويبقى هو إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . وبالله التوفيق .

محمد طرنيش

كاتب وصحفي ليبي

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

توضيح

بعد حوار قصير أجريته مع السيد رفائيل لوزون في صحيفة عربية ، أحسست بدعوة ملحة للاقتراب منه بجدية حتى أتعرف إليه أكثر من كوني أريد منه المعلومة أو الحوار ، اقتربت منه لأكتشف يهوديًا ليبيًا متدينًا يهتم بقضايا الحوار والالتقاء الثقافي بين الأديان والأعراق والثقافات المختلفة ، إيمانًا منه بأن الخصام والحرب أسهل بكثير من الاستماع إلى الآخر ، فقرر خوض الأصعب ليجعله الأسهل ، لأن الحوار في تصوره هو عبارة عن متكلمين يسمع بعضهم بعضًا ، بحثًا عن طريق يجمع من أجل الحياة الآمنة والبناء ، هكذا بهذه السهولة يعرف الحوار أو ربما يتمناه ، ولكنه يبني فكرته تلك على أن نتيجة الحوار أضمن من دمار الحرب وخسائرها .

كانت التجربة بالنسبة لي جديدة بكل مقاييسها ؛ لأنني لم أجلس قط مع يهودي أحاوره من أجل البناء والفهم ، فعدت إلى ثقافتي وتاريخي ومجتمعي ، عدت بنفسية الناقد الذي يريد أن يعيد قراءة نفسه من جديد ، فوجدت بونًا رهيبًا بين واقع وفهوم وأحوال نعيشها من جهة ، وبين أصل ثقافتنا المتحررة من عقد التخلف من جهة أخرى .

ثقافتنا المتحررة المنبثقة عن ديننا الذي يدعو بكل قوة إلى الحرية والانطلاق هي ثقافة ظلمناها ، نحن أبناءها ، لأننا أصررنا على ربطها بسياسة معينة أو

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

موقف زعيم ما .

صاحت في نفسي رغبة الثوري في التحرر من عقده والعودة إلى دينه الذي تربى على قيمه من بيئة مسلمة ، فقد تعلمت ديني من جدي رحمه الله ومن والدي وأعمامي ، تعلمته من مشايخي الذين تلقيت على أيديهم القرآن الكريم واللغة والأدب ، وفنون الحوار وأساليبه الرفيعة .

فانطلقت بروح المسلم المتدين الباحث عن الحقيقة والخبر ، وعدت أطرق باب بيت رفائيل لكي يكون عونًا لي على إنجاز بحثي هذا الذي انبثق عن حوارات لم أتعامل معها أو مع أهلها بعقلية الصحافي وطريقته ، بل بعقلية الباحث الذي يريد توظيف بحثه لغرض البناء والتواصل .

هذا هو أنا أحمد الرحال ، لم أقدم هذه المادة عبثًا أو غفلة أو جهلاً ، بل قدمتها من خلال عمل وبحث وجهد مُضْنٍ ، قدمتها بعد تحقق من بحثي وبعد تأصيل وجهد من أجل سد كل فجوة استطعت أن أكتشفها .

غير أن هذا لا يعني أنني أقفلت باب التعليق والرد والمناقشات ، بل على العكس ، أنا هنا أعتمد منهج النقد وقبوله مهما كان شكل النقد وأسلوب الناقد .

أصررت على اختيار هذا الموضوع لأن ثورة الكلمة وثورة الثقافة يجب أن تأخذ طريق العمل بأدبيات وأساليب تفتح أبواب التواصل ولا تصر على وجهة واحدة دكتاتورية .

وزاد إصراري أكثر بعد أن تعاملت مع جزء من مجتمع رفائيل من فئة من اليهود الليبيين ، الذين اجتمعت فيهم معظم صفات رفائيل أو ربما كلها .

رأيت ذلك في حفل ساهر أقامه رفائيل مع مجموعة من اليهود الليبيين واليهود العرب وحضره عدد من الضيوف من غير اليهود وكنت ضمن الضيوف .

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

رأيت مجموعة تحب أن يعرفها الناس أنها مجموعة من اليهود العرب الليبيين ، تمثل ذلك في الاستعراضات الفنية الليبية والعربية الجميلة ، التي عكست لي ولمن حضر الحفل صورة هؤلاء وهم يحنون إلى ليبيا بلادهم وموطنهم الذي يفتقدونه كثيرًا .

شجعني ذلك على خوض هذا المجال فزرت صحبة رفائيل نخبة منهم في إيطاليا للتحاور معهم من أجل المعرفة والتقارب والبحث عن وسائل الاتصال والتعامل ؛ فإذا بي أرى دموع رفائيل فلاح ذلك اليهودي الليبي الطرابلسي الذي ذكر ليبيا وتذكر طرابلس فنسي سنه والمكان العام الذي نجلس فيه ، فاغرورقت عيناه بالدموع وبكى ، افتخر بنفسه وهو يتحدث عن نفسه كقيادي يتعامل مع القادة والسياسيين ، وتخيل نفسه شابًا مازال في شارع عمر المختار بطرابلس ، يشارك في المنتديات الرياضية وفي بناء النوادي ، تحدث عن نادي الاتحاد وعن تأسيس النادي الأهلي في طرابلس ، وتذكر مرارة الخروج الإجباري من بلد أصر على نسبة نفسه إليها رغمًا عن كل معارض ، لأن المواطنة عنده لا تحتاج إلى اعتراف رسمي من دولة ، بل إنها روح تسري في جسده وعقله .

في جولتي مع رفائيل لوزون في إيطاليا رأيت عائلة الزروق وهي تعكس صورة عائلة ليبية من بنغازي ، يجمعها المزاح البريء وحب الضيف وثقافة المجتمع الليبي في كل شيء .

هذا كله شجعني على سبر أغوار الحالة الجديرة بالنظر فقررت فعلاً أن أقدم الصورة كما رأيتها للمجتمع الليبي والمجتمع العربي والمجتمع الدولي . قررت هذا وأنا أسمع ضجيجًا يمزج بين أصوات مؤيدة تحب البناء وتسعى إلى النور ، وبين أصوات تعارض بهدوء فتسمح لي بالمناقشة بعقلانية ، وبين أصوات ستكون هجومية وربما فيها شراسة ولا ترغب في المحاورة فتكون بذلك مصدر إزعاج وتهديد ، وهذا النوع الأخير من الأصوات لن يكون في جانب واحد بل سيكون

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

في جوانب عدة على مستويات مختلفة ، ستكون في الجانب العربي المسلم وفي الجانب اليهودي ، ولكن الأمل كبير في أن العقل وحب العمل في النور سينتصر ؛ لأن آلات النصر كثيرة ولا تحتاج إلى أكثر من إعلان المسير لتحقيق ما عجز عنه السياسي وغيره .

هذا كله وغيره بعث فيَّ روح الإصرار على الدخول إلى هذا العالم ، عالم الصراع الرهيب الذي يقتتل فيه بشر لا ينتهي الخلاف بينهم ؛ هذا العالم جعلني أقرر التشمير لكي أتحدى أمواج العنف وأمواج الاتهام وأمواج الحرب ؛ لأبحث في ذلك الخضم عن شيء اسمه الحوار أو التعايش ، ولكن ليس بمعنى الحوار السياسي ، أو سِلْم الهدنة أو تعايش الأوهام ؛ بل بمعنى حوار الثقافة ، ومسالمة المحاور ، وتعايش المختلفين ، وما أشد ذلك على النفس .

فكم كان ذلك شديدًا على نفسي عندما زارتني كوابيس منامية أفزعتني ، وأنا أخاف من الوقوع في عالم السياسي وأهرب من أيدي المُورِّطين وهم يهجمون من عالم الظلام المليء بحركات الخوف السرية في عالم المتناقضات .

أنا مُصِرٌّ على العمل في النور ، لأن الكلمة يجب أن يقرأها كل إنسان ، والمقالة ينبغي أن تتعرض للنقد المفتوح ، والكتاب يجب أن تمزقه أيدي البناء وكشافات النور التي تناقش أفكاره وأساليبه .

بدايتي هي هذه . . دراسة خفيفة أتعامل معها كأنها بوابة أدخل بها إلى عالمٍ أكبر ، إنها بوابة «يهود ليبيا» .

ببناء هذه البوابة أنا أضيف ، بلا شك ، لمسةً ثقافية أعيد بها بناء الطريق أمام من سيطورونها ؛ إضافة ثقافية «ليبية» ستدخل عالم الثقافة العربية وستحتل موقعها في عوالم الثقافة العالمية .

إضافة تنطلق من أسس تَحْقيق ، أعْتَبِرُهُ تاريخيًا ، لكي أشارك به في بناء قنطرة للمستقبل الذي عوّدَنا السِّيَاسِيّ على الخوف منه . إضافة ثقافية يجد

فيها المثقف ما يدفعه بِنَهَم إلى النقد والتعليق والتخوف والحرب أيضًا . إضافة ثقافية يجد فيها القارئ لمسات قرائية مفتوحة تجعله يبحث عن حلقات السلسلة لكي يحاول تتبع حلقاتها . إضافة ثقافية يجد فيها الباحث إغراءً بالانطلاق في عالم الحفريات الذي لا ينتهي ؛ ليربط سلسلة في سلسلة أو ليقطع سلسلة ليصنع أخرى .

قد يعجب بعض الناس من هذه المقدمة ليتساءل : هل تستحق حوارات صغيرة مع مجموعة من اليهود كل هذا؟

وأنا هنا أتخيل نفسي أرد لأدفع عن نفسي ، قائلاً : نعم . . بل إنها تستحق أكثر ، لأن بناء الثقة بين اليهودي والعربي والمسلم هو دخول في معمعة ونار تطرق مسالكَها سيوفٌ ورماحٌ وقنابلُ لا ترحم .

وهل يمكن بناء المستقبل والثقة من دون الدخول في هذه النار وهذا العذاب؟

هذا هو ردي . . وهكذا قررتُ . . . وهكذا اسمحوا لي أن أبدأ .

«إنني مقتنع بأن السلام لن يتحقق إلا بإعطاء فرصة لليهود العرب ليقوموا بدورهم السياسي ، لأن اليهود الأوربيين والروس سيطروا على السياسة وفشلوا في إيجاد طريقة للتواصل مع الناس في المنطقة ، واليهود العرب أكثر معرفة بالمنطقة من غيرهم» . رفائيل لوزون في حوار صحفي .

«وأذكر بعد ذلك عندما كنا في الطائرة مسافرين إلى إيطاليا بدأت أفكر في أصدقائي الذين خلفتهم ورائي ، هل سأراهم ثانية أم أنها النهاية ، وهل سأرى من جديد سوق الظلام وميدان البلدية وشارع عمر المختار وجليانة» .

رفائيل لوزون

«أنا أكثر الناس إحساسًا بالمعاناة التي يعيشها الفلسطينيون في المخيمات لأنني أنا نفسي جربت هذه المعاناة في ليبيا قبل إخراجنا منها وفي إيطاليا كذلك» .

رفئيل لوزون

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

من القرآن الكريم

الأحداث والقضايا الدولية الساخنة والمتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي تجعل أصول التعامل الشرعية في الإسلام تغيب في أحكام مرحلية ولدتها تلك القضايا ، وتولد عنها العداء الموجود الذي يسهل إيجاد مبررات له .

الأصل المهم والأول وربما الوحيد الذي اعتمدت عليه في هذا التقديم هو مقاطع من القرآن الكريم تعاملت مع مسألة حرية المعتقد والتكامل الطبيعي بين الأديان السماوية . ذلك لأن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي يُعدّ الرسالة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

القرآن الكريم أقر حرية المعتقد والتعدد الديني ودعم مسألة التكامل بين الأديان السماوية ، كما حارب فرض الدين وإكراه الناس على الدخول فيه .

والقرآن الكريم نزل متممًا ومكملاً صورة الدين وبناءه في عمومه ، لأنه هو الذي يأمر بالإيمان بالكتب والرسل الذين سبقوا الكتاب الخاتم والرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم ، بعد الإيمان بالله وحده رب تلك الأديان ورب الناس جميعًا .

قال تعالى في القرآن الكريم في سورة البقرة ، وهي السورة التي شملت جميع أركان الاسلام ، وركزت على المعاملات العقدية :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

وما يدل على أن القرآن الكريم هو المتمم لما سبقه من كتب سماوية قول الله تعالى في سورة المائدة :

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

في الآية الأخيرة يقول فخر الدين الرازي في التفسير الكبير :

«وهذا خطاب مع محمد ﷺ ، فقوله : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾

أي كل كتاب نزل من السماء سوى القرآن .

وقوله : ﴿ومهيمنًا عليه﴾ فيه مسائل :

الأولى - في المهيمن قولان -

* الأول/ يقال قد هيمن الرجل يهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء وشاهدًا عليه حافظًا .

* الثاني/ قالوا الأصل في قولنا آمن يؤمن إيمانًا هو أأمن يؤأمن فهو مؤأمن ، بهمزتين ، ثم قلبت هاء كما في هرقت وأرقت ، وهياك وإياك ، وقلبت الثانية ياء فصار مهيمنا فلهذا قال المفسرون أي أمينًا على الكتب التي قبله .

الثانية - إنما كان القرآن مهيمنًا على الكتب لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخًا البتة ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف على ما قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ /الحجر/ ، وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبدًا ، فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبدًا .

الثالثة - قال صاحب الكشاف : قرئ (وَمُهَيْمَنًا عليه ؛ بفتح الميم لأنه مشهود عليه من عند الله تعالى بأن يصونه عن التحريف والتبديل) . ص١٥ من الجزء الثاني عشر من الكبير .

وأكبر شاهد على أن القرآن يقر ذلك التعدد مع الإبقاء عليه هو أنه يسمي اليهود والنصارى بـ(أهل الكتاب) ، وهؤلاء لهم معاملة خاصة من قبل المسلمين تصل إلى درجة مصاهرتهم وأكل ذبيحتهم ومعاهدتهم ومسالمتهم .

وفي زمننا هذا صارت ذبيحة اليهودي أقرب إلينا من الناحية العملية في طريقة الذبح من النصرانية التي دخلت عليها بعض التغييرات .

وإذا أردنا أن نبحث أكثر عما يقر التعدد في القرآن الكريم فلن نجد أمامنا أفضل من سورة الكافرون التي يقول الله فيها :

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

على الرغم من أن كثيرًا من الناس يقدمون هذه السورة في مجال الولاء والبراء وإظهار المعاداة ، غير أن السياق في السورة يترجم في جانب آخر عكس ذلك .

فهي خطاب للكافرين بأن لهم دينهم وأننا لنا ديننا ، وكأن السياق يقول : كل له دينه ، وإذا كان التداخل سيسبب الحرب والفرقة فإن الأفضل لنا جميعًا أن نعيش سلامًا بأن يكون لكل دينه ، وعليه أن يقبل بأن هناك غيره من له دينه المختلف ، باحترام .

وهناك آيات تبين في ظاهرها مسألة العداء اليهودي ضد المسلمين ، وهنا يجب النظر في أسباب نزول الآيات تلك ، ولكن إذا اعتبرنا التاريخ لوجدنا في مقابل ذلك شواهد حقيقية تدل على أن النصرانية كانت أشد عداوة للمسلمين ، وهذا واضح من الحروب الصليبية . فأين إذن يمكننا أن نذهب بهذه الآية ، وكيف يمكننا أن نعرف إن كانت المعاهدة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة هي الأولى بالتقليد ، أم هذه الآية هي الأولى بالاتباع من دون النظر في معاني السياق التاريخي والمناسبة؟

من الأفكار المتبناة والمعتبرة أن الممارسة السياسية في التاريخ هي أمر خاضع للبشر وتقلبات أحوالهم وتفكيرهم ، كما أن استخدام الدين في فرض السلطان والاحتلال عبر التاريخ هو واضح جدًا .

في مقابل ذلك فإن القرآن قدم لنا الإسلام النقي بعيدًا عن الدماء والخراب ، غير أنه تعامل مع واقع كان معيشًا وقت نزوله .

وهناك من القرآن ماهو تاريخي محض جاء ربما في شكل قصص أو أحكام بغرض العبرة والدرس ، وهذه الجوانب لا يمكن تطبيقها بحرفيتها من دون اعتبار

الظروف والحال والأمور المحيطة في وقتها .

وعلى كل حال حتى لو فرضنا جدلاً أن هذه الفكرة غير صائبة ، يبقى شعار المسالمة والتعايش من أجل البناء والتكامل هو الأعلى والأقوى ، بل إن ذكر هذه السلبيات يجعل الأمر أدعى وأكثر إلحاحًا للمسير في طريق السلام والبناء .

كذلك عالج القرآن الكريم مسائل تتعلق بالمواطنة ، والآيات في آخر سورة الأنفال واضحة في ذلك .

قال تعالى :

﴿ . . . وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ . . . ﴾

وهذا الميثاق قد يكون ميثاق عهد وصلح وقد يكون ميثاق مواطنة .

والإسلام أقر أن المواطن تجب موالاته وموادعته أكثر من صاحب الدين نفسه الذي هو خارج سياق منظومة الدولة .

حتى لو سلمنا للذين يقولون إن اليهود أعداء على الدوام ، لا يمكن في مقابل ذلك نكران أن التزام اليهود بدينهم أكثر من النصارى بدينهم ، كما أن القرآن الكريم اعتبر المسيحية مكملة لما قبلها ، الإنجيل هو العهد الجديد الذي جاء بعد العهد القديم ، التوراة .

ومن أهل الرأي من يرى أن سبب سرعة دخول أهل يثرب إلى الإسلام هو أن اليهود كانوا بين أظهرهم ويتعاملون مع أخبار السماء التي عندهم .

أعلم أن هذه العجالة لا يمكن أن تغطي الجانب الشرعي ، ولكن الكتاب ليس بحثًا شرعيًا وهذه المقدمة فقط للإثراء وفتح أبواب النظر ، ولتبرير ما أقدمه في هذا الكتاب من جوانب في تاريخ لا ينبغي السكوت عليه أكثر .

القرآن الكريم هو كتاب القيم التي تحتاج إلى من يدرس ويبحث عنها ويستخلصها ويقدمها إلى عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع ، كي ننتج منظومة اجتماعية وسياسية تحكم بقيم ستكون أفضل من قيم الثورة الفرنسية ، كما أنها لن تلغيها .

أما في قضية من يحكم فهي بالنسبة لي أمر ثانوي طالما أن القيم هي التي نبني على أساسها مجتمعاتنا وعالمنا ، فالإنسان يحتاج دائمًا إلى مناهج قيمية يختار على أساسها من يسوس أموره لتنتظم الحركة الاجتماعية وتتجه نحو البناء والتكامل ، بعيدًا عن الدماء والقتل والدمار .

من هنا هل يجب النظر في حركة التاريخ لنرى هل كان العداء موجودًا على مر العصور وتحت الحكم الإسلامي في العصور المختلفة؟

أتمنى أن يأخذ الموضوع حقه من قبل الباحثين والمؤرخين لتعم الفائدة ، ولكن لا بأس من عجالة تعالج موضوعي هذا كتقديم آخر له .

الحياة الاجتماعية في العالم العربي والإسلامي حتى النظام العثماني

العداء المستحكم بين العرب واليهود بدأت بذوره منذ ولادة الحركة الصهيونية وتأزم أكثر مع بداية الصراع العربي الإسرائيلي وقيام دولة إسرائيل .

والاتهام داخل المجتمع العربي دائما موجه نحو الحركة الصهيونية على أنها هي الأساس في قيام دولة إسرائيل .

لهذا شعرت أنه لا بد من النظر ولو سريعًا في الحياة الاجتماعية ، ووضع اليهود حتى نهايات الدولة العثمانية وبدايات الاستعمار الإيطالي لليبيا .

المنهج الإسلامي في الحقيقة سبق غيره في مسألة التعامل مع الأقليات ، ولكن التعامل عبر العصور بقي في صعود وهبوط ، بحسب الظروف السياسية والاجتماعية وغيرها .

المؤرخ الإيطالي رينزو ديفيليش أشار في كتابه المعروف (يهود في أرض عربية - ليبيا ١٨٣٥-١٩٧٠) إلى أن العلاقات بين العرب واليهود كانت جيدة على الجانبين خلال فترة العصور الوسطى وما قبلها ، والمقصود بالعصور الوسطى هي العصور التي كانت فترة ازدهار في العالم الإسلامي .

وبالنسبة لأوضاع اليهود في ضوء الإصلاحات العثمانية ، يقول سليمان خطاب سويكر في كتابه (الجالية اليهودية في إقليم برقة تحت الاستعمار الإيطالي) :

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

«تزامنت السيطرة العثمانية على ولاية طرابلس الغرب وبرقة في عهدها الثاني (١٨٣٥-١٩١١) مع بداية الإصلاحات التي اقتضتها الظروف الدولية والداخلية على حد سواء ، وكان الهدف منها إحكام السيطرة على رعايا الدولة العثمانية .

تتمثل بوادر الإصلاح التي نجد فيها ذكرًا لليهود في مرسوم للسلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٠) يعود إلى سنة ١٨٣٠ ، يقول : [أنا أمير بين رعيتي ، المسلمين في المساجد ، والمسيحيين في الكنائس ، واليهود في المعابد ، لا يوجد فرق بينهم بأي شكل ، وهم متساوون ، وجميعهم بالفعل أبنائي](ص ١٨) .

ثم يقول سويكر في كتابه :

«وألغت الدولة العثمانية القوانين التي كانت تلزم اليهود بارتداء ملابس تختلف عن ملابس المسلمين ، وسمحت لهم بالإقامة أينما شاءوا . وفي إطار هذه النوايا شيد اليهود في بنغازي معبدًا بشارع المهدوي ، بمبادرة وعناية اليهودي رحمين فرجون ، أحد سكان المدينة ، وذلك بعد الحصول على موافقة الحكومة العثمانية» .(ص١٩)

هذا كله يدل إلى حد كبير على أن الدفع في اتجاه التعايش كان موجودًا من قبل أن تتأزم المشاكل الدولية منذ بداية الاستعمار الأوروبي والعصر الحديث .

هذه الحوارات وتوثيقها أرجو أن تكون بداية للبحث في مشاكل الصراع وحدوده وكيفية علاجه ومجالات العلاج .

مجمل ما وقع من أحداث
(١٩٤٥-١٩٦٧)

من خلال الحوارات والسرد التفصيلي لكل قصة على حدة ، يكون مجمل ما وقع في ليبيا ضد اليهود الليبيين كالآتي :

في نوفمبر من عام ١٩٤٥ كانت هناك مظاهرة في ليبيا ، وخصوصًا في طرابلس ، فقد هجم المتظاهرون على اليهود في الحارة الكبيرة والحارة الصغيرة في طرابلس ، وقتل في الهجوم عشرات من اليهود وأصيب المئات .

وقد كانت المظاهرات في حضور الإنجليز الذي كان دورهم المفترض هو حماية البلد وإحلال الأمن ، غير أنهم لم يتدخلوا إلا بعد أن وقعت إصابات وقتلى .

ويعزو بعض الناس ، ومن ضمنهم يهود ، هذا الأمر إلى أن الإنجليز كانوا يريدون اليهود أن يهاجروا إلى إسرائيل .

في عام ١٩٤٨ وقع هجوم آخر أكبر من سابقه وهاجر بسبب ذلك آلاف من اليهود على موجتين :

الأولى/ بين عامي ١٩٤٥ و١٩٤٨

والثانية/ بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٢

الهجرة النهائية كانت عام ١٩٦٧ ، وكانت بعد الاحتلال الإسرائيلي الذي أثار حنق الناس وسبب هجومات أحدثت حرائق وأوقعت قتلى في صفوف

الجالية اليهودية في ليبيا ، وهنا اضطر اليهود جميعًا إلى الهجرة ، ولم تجد الدولة الليبية طريقة تحميهم بها إلا أن تسهل لهم أمر الخروج والهجرة من البلد .

المتفق عليه إلى حد كبير أن تلك المشاكل مجتمعة كانت بسبب الصراع العربي الإسرائيلي منذ الأربعينات ؛ غير أن هناك من يربط تلك الأحداث بمسائل داخلية في ليبيا ، خصوصًا أحداث ١٩٦٧ ، بزعم أن هناك مجموعات من الضباط في الجيش الليبي رتبت لتلك الأحداث لكي تحدث الفوضى المناسبة من أجل الانقلاب على نظام الحكم .

يبقى الخلاف في أسباب المشاكل ، فهناك أيضًا من يقول إن اليهود الليبيين هم الذين بدأوا باستفزاز الناس ، غير أن هذه الفئة من الذين حاورتهم ترفض هذا الزعم ، فمنهم من يقول إن اليهود هم ضحية أحداث كانت أكبر منهم .

أنا هنا في هذه المادة فقط أنقل ما قالته هذه الفئة ، بعد حوارات دامت ما يزيد على ستة أشهر ، وأنا أقدم هذه الشهادات والتصريحات لتكون قابلة لمناقشتها والأخذ والعطاء في حيثياتها .

كما أنني أردت أن أعكس صورة مجتمعنا الليبي عندما كان يعيش بسلام وأمن ووئام وتكامل بمختلف أشكاله ، بما فيها صورة هذه الأقلية التي يصورها أحد هؤلاء اليهود بالملح في الطعام .

أما فيما يتعلق بالتعويضات فهي بالنسبة لي مسألة خلافية ، ولكن أعتقد أن هناك أضرارًا وقعت من خلال ما رأيت وسمعت ، ويجب أن ينظر في هذه المسألة بعين متجردة وواعية وعادلة ومدققة .

الحاج مختار الأسود

الحاج مختار الأسود الفنان الليبي المعروف هو موسوعة وذاكرة ليبية كبيرة بحجم الوطن ، التاريخ والفن والرياضة والجمال كلها تجتمع في شخصه .

رحب بي بطريقة دافئة جعلتني أحس بدفء الوطن وكرمه وسهولته ، استقبلني وهو يتدفق حيوية على الرغم من سنه التي تناهز الثالثة والثمانين ، رأيته ولم يتغير شكله كثيرًا وكأنه كان أصغر من سنه الحقيقية .

قال لي إنه يريد أن يتحدث كثيرًا عن ذكرياته المتعلقة بالموضوع الذي أتيته من أجله ، غير أن وقته كان ضيقًا بسبب انشغاله في مهام كثيرة ، فالوطن لم يستطع أن يستغني عن حضور مختار الأسود حتى وهو في هذه السن ، جلست إليه وطلب مني أن أتركه يتحدث عن ذكرياته في هذا الجانب ، وقد لاحظت قوة تركيزه وهو يحاول أن يستخلص من ذاكرته ما يتعلق باليهود الليبيين ، وما أصعب ذلك وأشده عليه ، لأن مختار الأسود يحمل ذاكرة ترتبط قصصها وأحداثها وتلتحم حتى تبدو كرواية واحدة يجب على من يجمعون الذاكرة الليبية أن يأخذوها منه سيرة ذاتية خاصة بمختار الأسود ، هي جديرة بأن تتحول إلى مسلسل درامي طويل .

في بداية حديثه رحب بي في منزله ومكتبته الخاصة التي مثلت لي (ليبيا) ، رحب بي في بيته فشعرت بأن بلدي ليبيا كلها ترحب بي بعد غياب ليس بالقصير ، وكم كان ذلك مبعث فرح في نفسي وأنا أسمع ترحيب ليبيا

وتاريخها وثقافتها بي في شخص مختار الأسود .

بدأ حديثه معرفًا بنفسه وبعائلته ، فقال :

«أنا أخوك مختار رمضان علي الأسود ، من مواليد طرابلس في العاشر من فبراير ١٩٢٤ .

نشأت في أجواء رياضية وفنية وموسيقية ، فقد كان والدي مدرب كرة قدم ، وكان هو أول من تحصل على بطاقة مدرب ، وقد كون فريق بالخير لكرة القدم .

وقد كان من جيراننا مجموعة من أصدقائنا وأحبابنا اليهود ، الذين عرفناهم منذ كنا صغارًا . أذكر أننا كنا نلعب معًا ونخرج أيام الجمعة في رحلات ، وكانت تجمعنا المحبة والصداقة والأخوة .

أذكر عندما كنت صغيرًا إذا خرجت أمي لأي غرض كانت تتركني عند السنيورة زولة وهي امرأة من جيراننا اليهود . وكانت زولة تطعمني خبزًا بجبن أو تونة ، وكانت ترعاني كما ترعى أبناءها ، وأحيانًا كنت أنام على سرير ابنها وعندما أصحو كانت تقوم بغسل وجهي وترتيب مظهري وتطعمني ، ثم تنصحني بعدم الخروج من البيت إلى الشارع قائلة (ياوليدي ماتطلعش برّا راهو ينوشوك السيارات) .

ولذلك كنت أحس بأن أولئك كانوا فعلاً من أحبابنا وجيراننا المخلصين . إلى الآن مازلت أتذكرها ، وقد بقيت في شوق إلى معرفة أخبار زولة منذ خرجت من ليبيا في عام ١٩٦٧ ، فقد كنت فعلاً مثل ابنها .

أيام الجمعة كنا نحن نصلي في المسجد وكانوا هم ينتظروننا أمام المسجد ، وفي مقابل ذلك كانوا إذا ذهبوا لصلاتهم كنا ننتظرهم خارج الصلاة ، لكي نلعب بعد الصلاة معًا .

وكان منهم من يحفظ سورًا قصيرة من القرآن ، لذلك منهم من أسلم ،

فمثلاً بوحجر تعلم القرآن في مسلاتة ثم أسلم . وهناك غير بوحجر آخرون أسلموا أيضًا .

في وقت وجود الانجليز في الأربعينات بدأت المشاكل بيننا وبين اليهود ، لأن الانجليز جعلونا نظن أن اليهود أعداؤنا ، ففي عام ١٩٤٤ بدأوا يرتبون لإخراج اليهود من ليبيا ، وقد كانوا يحذرون اليهود من البقاء في ليبيا ويبعثون فيهم الرعب من الليبيين . وأذكر عندما بدأت المشاكل كان الانجليز يحرضوننا على رجم اليهود وضربهم .

وقد سمعنا عن مقتل اليهودي موسى فلاح الكيش عام ١٩٤٥ وهو يحاول إقناع الناس بأن لا يحرقوا ويدمروا مخازنه .

ومن القصص المرعبة أذكر رجلاً كان اسمه (ولد السطا لامين) وكان أستاذًا في الحياكة وصناعة الأحذية التقليدية والمحافظ ، هذا الرجل قتله الانجليز في الصباح الباكر وأشاعوا فينا بأن اليهود هم الذين قتلوه ، وبالتالي بدأت المشاكل والضرب والهجومات ، وكان الانجليز يتفرجون ولا يتدخلون ، وأنا أذكر شخصًا كان اسمه علي بورقيقة كان ينهى الناس عن الهجوم على اليهود ، وكان ينادي الناس قائلاً (ما تحدفوش ، عيب هؤلاء جيرانكم) ، وكان الانجليز يقولون له (never mind) أي لا تهتم ، دعهم .

نحن في ذلك الوقت كنا نطالب باستقلال ليبيا ، وكان الانجليز يستغلون ذلك ليثبتوا لليهود بأننا غجر ومتوحشون ، وكذلك لكي يخرج اليهود من ليبيا ثم ليذهبوا إلى إسرائيل .

من اليهود الليبيين من ذهب فعلاً إلى إسرائيل ، ومنهم من لم يذهب ، بل منهم من بقي في ليبيا حتى بعد ١٩٦٧ إلى أن ماتوا .

أذكر امرأتين عجوزين بقيتا في طرابلس إلى أن توفيتا ، وهما أختان . وأذكر أن عجائز اليهوديات كن يرتدين اللباس التقليدي الليبي وكذلك من رجالهم

من كان يرتدي الجرد مثلنا تمامًا ، وأذكر أن الواحدة من النساء اليهوديات أحيانا إذا طرقنا باب بيتها ، لا تفتح الباب حتى تغطي رأسها ، وكن يحتشمن تمامًا مثل أية امرأة ليبية في ذلك الوقت .

عمل اليهود في كل شيء ، بل كانوا نشطين جدًا ، وكانوا يصنعون شيئًا من لا شيء . أذكر واحدًا منهم كان يصنع اللاقبي وهو مشروب يستخلص من النخيل ، وكان منهم من يتاجر في العطرية وغيرها ، وكانوا يتعاملون مع الناس بالدين ويبيعون به (بالطلوق) .

أذكر مرة كنت محتاجا إلى شخص يقرضني مالا ، فذهبت إلى تاجر اسمه أربيب وطلبت منه أن يقرضني ، فقال لي (ياحاج مختار الأفضل لك أن أبيعك شيئا بالطلوق وتبيعه لي مباشرة بثمن أغلى فتربح الفرق ، وهو خير لك من الدين) . لذلك كانت البلاد في وقت وجودهم متحركة فقد فعّلوا التجارة وحركوها .

وكانت هناك عائلة أربيب الأخرى وكانت حالتهم ميسورة ، وكانوا وكلاء سيارات دودج الأمريكية ، وكانوا أيضًا يساعدون الناس .

على كل حال ، ما نعرفه عن اليهود أنهم كانوا فعلاً أذكياء ونشطين ، فقد عملت أنا مع الغرفة التجارية مع الانجليز ورأيت كيف كان اليهود يتعاملون .

بالنسبة للأكل وثقافة الطعام الليبي كان لليهود فضل في إثرائها ، فقد تعلمنا منهم أكلات السمك والحرايمي اللذيذ .

أذكر مرة أكلت حرايمي في إيطاليا في مطعم ليبي لشخص اسمه ألفونسو ، الذي قال لي (كول ياحاج مختار وبحبح لأن هذا الحرايمي حتى في الجديدة ما تلقاشي) أي كل يا مختار لأن هذا النوع من الحرايمي لن تجده حتى في منطقة الجديدة في طرابلس .

وكان هناك في ليبيا شخص يهودي اسمه ديدو وكان طباخًا من الدرجة

الأولى ، وكان مكانه قبالة مكتب الصنائع .

أما في الفن ، لدي صورة معلقة على جدار مكتبتي لأول فرقة موسيقية في ليبيا تأسست عام ١٩٣٥ وفيها عازف يهودي وهو الذي يعزف على القانون ، واسمه زكي مراد والد الفنانة المعروفة ليلى مراد ، وكان وقتها قد أسلم» .

ثم حكى لي الحاج مختار عن بعض المتميزين من اليهود فقال :

«كان هناك يهودي اسمه ماني وكان أحسن سباح في طرابلس ، وكان يسبح لمسافات طويلة جدًا . أذكر مرة خلع ملابسه لكي يسبح وطلب مني أن أمسكها له ، ولكنه سبح من الترسانة إلى راس المول ، وظننت أنه كان سيسبح قليلاً ، وتركني للشمس تحرقني وأنا أنتظره .

وكان هناك يهودي آخر اسمه دوال حبيب وكان رئيس الغرفة التجارية ، وكان هناك منهم شخص كان ضابطًا في الشرطة . الواقع أنهم دخلوا في جميع مجالات العمل تمامًا مثلنا .

ومارسوا جميع أنواع الصناعة والتجارة ، وكان منهم من يذهب إلى الحضرة في زوايا الصوفية ليتفرجوا .

كان هناك شخص اسمه ماموس يحفظ قصيدة :

يا نفس توبي يا مسكينة

ولا تكوني من الأشرار

مرة ذهبت إلى روما بعد خروج اليهود من ليبيا بزمن ، ووجدت يهوديًا ليبيًا من أصدقائي من عائلة دباش ، قال لي : «والله يا حاج مختار ، وحق سيدي عبد السلام عندي تقعميزة (أي جلسة) على ركابة ميزران خير من إيطاليا كلها» .

ثم لاحظ الحاج مختار إلحاحي لمعرفة قصة نادي الأهلي الطرابلسي وقصة اليهود فيه ، فقال :

«أنا أعلم أن قصة الأهلي واليهود تحيرك» ، فحكى لي القصة قائلاً :

«كان أغلب الشباب منخرطين في نادي الاتحاد ، ولم يكن هناك نادٍ آخر ، منذ أن اتحد ناديا الشباب والنهضة ليكونا نادي الاتحاد ، وأنا كنت من مؤسسي نادي الاتحاد ، ورقمي في النادي هو ١٩ .

وأذكر أن طريقة التشجيع كانت حسب الجودة في اللعب ولم تكن تحيزًا ، وكان كل لاعب جديد ينضم إلى الاتحاد ، وكثر العدد ، وكان مسعود الزنتوتي ينزل ويختار ١١ لاعبًا فقط وكان العدد كبيرًا ، لذلك كان عدد كبير من الناس لا يجدون فرصة للعب ، ولذلك خرجت مجموعة منها ، يوسف الفزاني وأحمد الطويل والمبروك المصراتي وحسن الأمير وغيرهم ، وذهبت المجموعة إلى مدير السياحة في ذلك الوقت وهو أبوبكر سيالة رحمه الله وطلبوا مساعدته لتأسيس نادٍ جديد ، فقال لهم إن الأفضل هو الذهاب إلى سالم شرميط رئيس حرس المباني ، فحصل لهم شرميط على مبنى للنادي بالإيجار من شخص يهودي ، ثم جاء حمودة القلالي وصار مديرًا للنادي ، وكان اليهود يقدمون له الهدايا وكان هو يحولها للنادي ، لذلك صار كثيرون يقولون بأن النادي تأسس بفضل اليهود ، وهذا غير صحيح لأن اليهود كانوا يشاركون في النوادي كلها ، فمثلاً كان منهم النمني وغيره ممن كانوا يلعبون في فريق السلة التابع لنادي الاتحاد ، لأن اليهود الليبيين كانوا يشاركون في جميع المناشط الليبية ويشاركون في جميع المجالات العملية .

من ذلك ما قام به يهود من دفع مساعدات لمكتب الصنائع على شكل ديون ، وذلك عندما عجز المكتب عن دفع المرتبات للعاملين فيه» .

ثم تحدث الحاج مختار عن الفن والفنانين فقال :

«في الغناء كانت هناك مغنية يهودية اسمها مالو خنافر ، وأذكر لها أغنية تقول فيها :

حِل عينك شوف الزين

قول ياربي هذا منين

كانت هذه المغنية إذا غنت في ميدان الشهداء ، يصل صوتها إلى ميناء الشعاب لأن صوتها كان قويًا ، وغنت في مقهى الباب الجديد مع علي الحداد ، فقد كانت تقام لهما حفلات وخصوصًا في رمضان .

وجاءت فرق يهودية من الخارج ، وكانت منهم مغنية يهودية اسمها غزالة وقد غنت أغاني دينية عن الله سبحانه وتعالى ، وغنت أغاني كان لها صدىً كبير في البلد» .

هكذا في عجالة حصلت من هذا الرمز الكبير «الحاج مختار الأسود» على هذا الحديث الثري الذي كان يلتقط أطرافه من خزائن تفيض بالذاكرة ، لأن الأخبار التي عنده تحتاج إلى من يجلس إليه جلسات طويلة ويفتح له المجال كي يتحدث عن قصته منذ أول يوم عرف فيه الدنيا ، كما أن حديثه كان ممتعًا لأنه كان يشير دائمًا إلى مكتبته العظيمة وأرشيفه الضخم ، تلك المكتبة التي أخبرني عن نقصانها بسبب من يأخذون منه المواد من أجل البحث والكتابة والتوثيق ، غير أن معظمها ضاع واستخدم من دون أن يذكر أنها من جهد الحاج مختار .

خرجت من عنده وأنا مليء بالحماسة التي رأيتها تتحرك أمامي في شخص ذلك العملاق ، فقد بعث في نفسي روح الجد وتمنيت لو تطوى الدنيا بين يدي والطريق أمامي كي أصل هدفًا أحسه ولم أره بعد .

مدخل مهم

قدم لي رفائيل لوزون شريطًا مسجلاً تسجيلاً حيًا في المخيم الذي أقيم ليهود بنغازي قبل تهجيرهم إلى خارج ليبيا ، هذا الشريط سجله رفائيل بدوسا وهو ابن أخي بدوسا التاجر اليهودي المعروف في بنغازي ، وقد حصل عليه لوزون من السيدة دوللي بنت بدوسا وهي زوجة مئير الزروق .

كان عمر رفائيل بدوسا في العشرينات عندما سجل الشريط ، وهو تسجيل قصير جدًا ، أقدمه هنا كوثيقة سمعية شاهدة على الحدث .

في الشريط يتحدث رفائيل بدوسا بأسلوب المراسلة الصوتية وكأنه يقدمه للراديو ، يقول :

«نحن اليوم في تاريخ ٥ يونيو ١٩٦٧ ونحن موجودون في المخيم الذي أعد لنا نحن يهود بنغازي بعد الهجوم الذي تم علينا ، أتينا منذ ساعات ، حيث أخذتنا الشرطة من بيتنا في سيارة جيب ، وفي الطريق ومن خلال الشباك رأيت بنغازي بشكل مختلف وغير متوقع ، حيث رأيت الحرائق والنار والدخان في محلات اليهود ، ومظاهرة تهتف ضد اليهود في الشوارع .

وبعد أن أخذونا إلى مركز البوليس ، حاولت المظاهرة أن تهاجم المركز ، ووضعونا على سيارات كبيرة وأحضرونا إلى المخيم .

في المخيم الآن أرى أمامي يهود بنغازي كلهم ، وبعد الرعب والخوف صار

هناك نوع من الطمأنينة وفرحنا لأنه لم يكن هناك أحد مفقود تقريبًا» .

وينقطع الكلام ليبدأ كلام آخر ، يقول فيه رفائيل بدوسا :

«كما تذكرون في حديثنا يوم ٥ يونيو الآن نحن في يوم ٢٠ يونيو وأنا أرى أمامي يهود ليبيا وهم يستقبلون نبأ أنهم يجب أن يتركوا ليبيا ، وكلهم مصدومون وخائفون من المستقبل الذي ينتظرهم .

والآن سأسأل بعض الناس عن شعورهم ورأيهم وعن المستقبل وكيف يتوقعونه في الأسابيع القادمة :

أجاب الأول (وهو في الأربعينات من عمره) : الآن سنسافر إلى إيطاليا لأنها هي الأقرب لنا لغة وعقلية ، ومنها ننتظر ماذا يحدث ، فلربما نجد فرصة ونعود كما كنا إلى بنغازي .

أجاب الثاني (وهو أيضًا في الأربعينات) : أنا ليس لدي أي برنامج ، ولا أدري ماذا سيحدث ، أنا نفسي لا أدري ماذا سأفعل ، وهذا الذي حدث هذه الأيام في هذا المخيم مثل الحلم المرعب .

قال الثالث وهو في العشرينات من عمره : أنا أعتقد أنني سأسكن في روما ، وسأبحث عن عمل في مكتب كموظف ، هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن أعرفه الآن» .

ثم انقطع التسجيل .

رأي لوزون في ما سمعناه من الشريط خصوصاً أنه يذكر ذلك المخيم وتلك الأحداث :

«ما أشعر به الآن هو الخوف والظلام الذي كان يعم المكان وكل شيء ، والملاحظ أن المتحدثين لم يتحدثوا إلا عن الذهاب إلى إيطاليا ، على أساس أنهم لم يكونوا يصدقون أنهم سيتركون ليبيا إلى الأبد ، ولم يذكروا إسرائيل قط» .

هذه المادة التوثيقية أحببت أن أبدأ بها كمدخل لمادة الكتاب (هكذا تحدثوا) .

مجوهرات وملابس تقليدية ليبية

قصة رفائيل لوزون

في مـــدينة بنغـــازي الجميلة في موقعها وبيئتها ولد رفـــائيل لوزون وعـــاش حتى بلغ ثلاث عشـرة سنة من عـــمـــره . رفـائيل يصف بنغازي وجمالها الذي عرفه في الستينيات من القـرن الماضي ، ينهل من ذاكـــرته التي جمعت في أرففها صفحات ملأت روحه ، فجعلت مدة ثلاث عشرة سنة أطول من عمره كله ، بل أطول من الحياة بأسرها .

يتحدث رفائيل عن حياته في بنغازي لتبدو على وجهه علامات الرحيل إلى عالم ظل يحلم به وبالعودة إليه ، عالم الطفولة الجميلة الممزوجة بعالم مدينته الجميلة ؛ تلك العلامات تجعل المستمع إلى رفائيل إنسانًا عاطفيًا مرهفًا يرى بدقة تعبيره ويسمعه ، يرى الشوق والحنين في الدموع التي تطل مع لمعان عينيه ، ويسمع سهولة الإنسان الليبي في نغمة صوته ودفء أنفاسه . يتحدث رفائيل لكي يترجم السامع معاني العتاب الموجهة إلى الزمن وإلى الناس وإلى المكان .

هكذا تجتمع ملاحم وملامح من الغربة بجراحها الساكنة في منعطفات نفسه وأوهام قلبه ، وهكذا أجتمع مع رفائيل بمشاعري لكي أتخيل حقيقة ما يقول وأتفاعل معه بقلمي أصف ما رأيته معه .

حدثني رفائيل عن المكان الذي ولد فيه وولد فيه من قبله أبوه ، منطقة ميدان البلدية من ناحية شارع عمر المختار ، وتحديدا في شارع امبارك الشريف الذي ينتهي إلى شارع عمر المختار من ناحية ، وإلى سوق الخضرة وشارع المهدوي من ناحية أخرى .

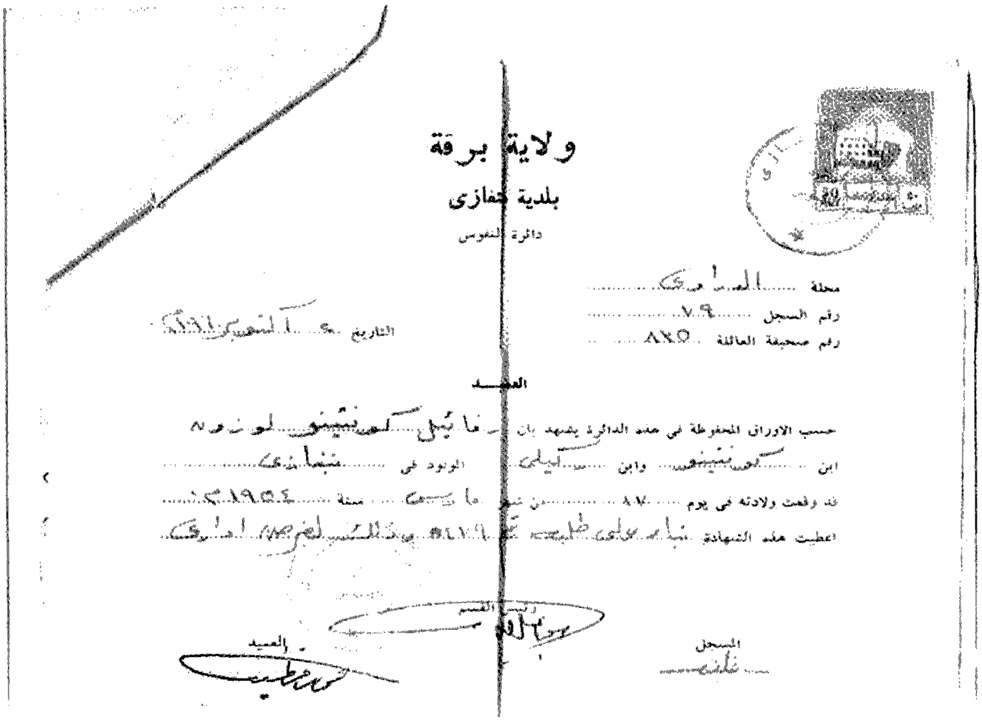
ولاية برقة
بلدية بنغازى
دائرة النفوس

محلة ...... [illegible]
رقم السجل ٧٩
رقم صحيفة العائلة ٨٢٥

التاريخ ...... [illegible]

العمدة

حسب الاوراق المحفوظة في هذه الدائرة يشهد بان ...... [illegible]
ابن ...... [illegible] وابن ...... [illegible] المولود في ...... [illegible]
قد وقعت ولادته في يوم ...... ٢٧ ...... من شهر ...... [illegible] ...... سنة ...... [illegible]
اعطيت هذه الشهادة ...... [illegible]

رئيس القسم
المسجل
العمدة

شهادة ميلاد رفائيل لوزون

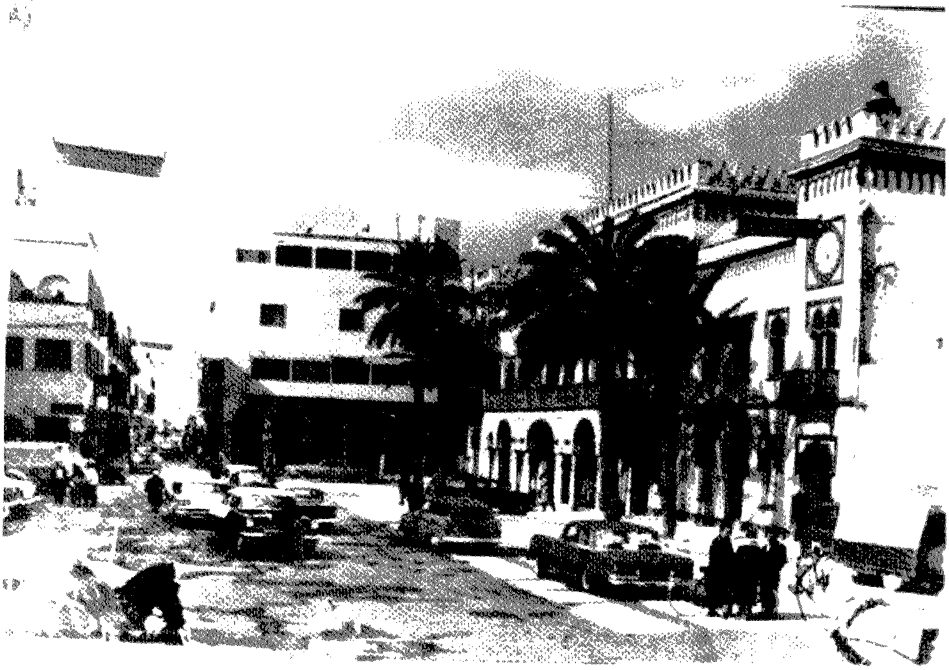

منطقة ميدان البلدية ببنغازي حيث ولد رفائيل لوزون وعاش

ولكن رفائيل أصر على أن يتحدث عن جده لأبيه لكي يبين جذوره الضاربة في عمق المكان وعمق الزمان . جده الذي أخذ منه اسمه هو أيضا رفائيل لوزون ، الذي كان معروفًا بلقب (شيخ يهود مصراتة) ، لأنه أساسًا كان من مصراتة .

رفائيل الجد شارك هو ومن معه في الحرب ضد الطليان إلى جانب رمضان السويحلي ، ثم اضطرته الظروف إلى الهجرة شرقًا إلى بنغازي ، المكان الذي استقرت فيه عائلته من بعده .

في معرض حديثه عن جده ، ذكر رفائيل مفارقات عجيبة عن اشتراك جده واليهود الليبيين في المعارك ضد الطليان ، منها أن اليهود الليبيين كانوا يحاربون في صفوف الليبيين ، واليهود الطليان كانوا يشاركون في صفوف الطليان على

الصورة العلوية لرفائيل لوزون الجد وتحتها صورة عائلة الجد ويبدو على يسار الصورة ماموس والد رفائيل لوزون وعمره ٥ سنوات تقريبا

الرغم من أن اليهود الطليان تعرضوا للقتل على يد موسوليني ، تماما كما حدث على يد تلميذه هتلر ، غير أن هذا دلّ على أن انتماء اليهود الليبيين كان انتماء ليبيًا أكثر من أي شيء آخر .

والمفارقة الأخرى العجيبة هي أن اليهود الطليان كانوا ينظرون إلى اليهود الليبيين على أنهم متخلفون ولا يفهمون ويفتقرون إلى المدنية ، وفي المقابل كان اليهود الليبيون يردون عليهم بأن ليبيا هي بلدهم ، وأنهم سعداء فيها وهي وطنهم الذي لن يتنازلوا عنه مهما جرى . كان هذا الجدل بين اليهود الليبيين واليهود الطليان يحمل اختلافًا ولكنه لم يكن عداءً .

عندما تحدث رفائيل عن جده ظهر في وصفه أنه كان رجلاً متدينًا واجتماعيًا ، كما أنه كان ليبيًا في عاطفته الاجتماعية وقوة صبره وصرامته وشدته في تربية أبنائه ، لهذا كانت العائلة متدينة .

بعد حديثه عن جده لأبيه ، انتقل رفائيل انتقالاً طبيعيًا للحديث عن والده (ماموس) أو (كوينتينو) التي تعني الخامس أو خموس الذي نشأ في جو من التدين والحياة الليبية الهادئة .

ماموس بدأ حياته العملية بمشاركة أميليو فرجون (وهو أحد الذين أجريت معهم حوارًا في هذا الكتاب) في مجال توزيع الأدوية بالجملة ثم صار يعمل لنفسه ، وكان يملك أربعة مخازن ، منها اثنان تحت بيتهم في شارع امبارك الشريف ، واثنان في شارع عمر المختار ، وكان ماموس يغطي منطقة برقة كلها ، لذلك كان غنيًا واستطاع أن يجعل عائلته تعيش في رخاء ، وكان لديهم في البيت خدم ، منهم زينب الفزانية التي كانت تشرف على تربية رفائيل وأختيه (بيتي وريتا) .

ماموس كان يتعامل مع الخدم بطريقة حسنة وكانوا هم يحبونه لأنه كان يعطيهم حقوقهم وافية ويزيدهم عليها في كثير من الأحيان ، وكانوا ينادونه بـ(عرفي) .

مجموعة صور تجمع العائلة وفي الصورة التي على اليمين من أعلى تبدو فيها زينب التي

كانت تعمل في بيت لوزون

من الأشياء الجميلة التي يذكرها رفائيل أن والده عندما سافر إلى إيطاليا عام ١٩٦٣ لغرض إجراء عملية على كليته كان هؤلاء الخدم في توديعه وهم يبكون خوفًا عليه ، وعندما رجع بعد شهرين فرحوا بعودته وبنجاح العملية الصعبة واحتفلوا بذلك ، حتى ظن بعض الجيران من النصارى أن ماموس أسلم وأنه عائد من الحج .

ماموس هو الآخر كان من قيادات اليهود الليبيين مثل والده ، بسبب تدينه وسيرته الحسنة بين الناس ، وبسبب مركزه الاجتماعي في بنغازي ، فقد كانت له علاقات قوية مع الناس عمومًا ومع الأعيان ، ومنهم العائلة المالكة في ذلك الوقت ، فقد زار ولي العهد الحسن الرضا ماموس مرتين في بنغازي للحصول على أدوية منه . كذلك كانت لماموس علاقات طيبة مع بعض الوزراء والشخصيات المهمة الأخرى ، منهم قيادات البوليس ، وعلى رأسهم عوض عبد الجواد ، رئيس المخابرات في ذلك الوقت .

تحدث رفائيل عن والده وعن جده مفتخرًا بهما كما يفخر الليبي بآبائه وأهله ، ثم انتقل للحديث عن أمه التي بقيت معه وانتقلت معه في رحلاته كلها من روما إلى إسرائيل ثم إلى لندن ، تحدث عنها بعاطفة دفاقة تجعل دموعه تنهمر وهو يذكر حنينها إلى ليبيا وتحديدًا بنغازي ، وهو يقدم لي صورة أمه أيام شبابها وهي ترتدي الرداء الليبي صحبة بعض من جاراتها في بنغازي .

راحيل روماني ، أم رفائيل ، كانت في وصفه إياها مثالاً للمرأة الليبية ، فهي ربة بيت ناجحة ولم تكن تعمل خارج البيت ، ولم تكن تخرج إلا لضرورة اجتماعية أو أسباب تستدعي خروج المرأة الليبية في ذلك الوقت . وكانت علاقاتها مع الجيران علاقة جميلة .

حياة العائلة التي كانت تنعم بالاستقرار والهدوء ورغد العيش لا يمكن لرفائيل أن ينساها أو ينسى ذكرياتها الجميلة ، من تلك الذكريات الجميلة التي

صورة راحيل أم رفائيل على اليمين ومعها قريباتها في بنغازي
في مكان يطل على ميدان البلدية

لا ينساها كيف كان يذهب إلى المدرسة هو وأختاه (بيتي وريتا) ، كانوا يذهبون على العربة المجرورة بالحصان (الكروسة) ، ويذكر رفائيل الشخصين اللذين كانا يعملان عليها وهما عاشور وعبدالله ، ويذكر وقت العودة إلى البيت بعد الظهر من المدرسة والأم راحيل تنتظرهم جميعًا بالغداء ، وبعد الغداء يجلس الأطفال الثلاثة لعمل الواجبات المدرسية . كان رفائيل وأختاه يذهبون إلى المدرسة الإيطالية المسيحية يتعلمون فيها المواد الأساسية بما فيها اللغة العربية ، وكان معلم اللغة العربية هو الأستاذ أحمد الشريف ، الذي كان يحبه رفائيل ويحترمه كثيرًا على الرغم من شدته وقوة شخصيته في الفصل . وفي الفترة المسائية كان

رفائيل يذهب إلى المدرسة العبرية (الدينية) ، لذلك كانت الدراسة شاقة عليه ، ولكن مع هذا كله كان يجد وقتًا للعب مع أبناء الجيران ومشاركتهم في كل ما يسليهم أو يجمعهم ، على الرغم من أن الحي الذي كانوا فيه لم يكن خاصًا باليهود كما كانت الحارة في طرابلس ، بل كان الجيران مختلطين ، منهم يهود ومنهم مسلمون عرب ، ومنهم نصارى من المالطيين واليونانيين ؛ غير أن معظم الجيران كانوا من اليهود ، ويذكر من العائلات العربية المسلمة عائلة عزالدين بن عامر وهو والد هدى بن عامر القيادية المعروفة اليوم في مدينة بنغازي . كان الشارع عبارة عن خمس بنايات تقريبًا ، وكل بناية تتكون من ثلاثة طوابق .

من الذكريات اللطيفة التي لا ينساها رفائيل أن الشارع كان مليئًا بالقطط ، وكان رفائيل يهتم بإطعامها حتى إنه كان يتنازل عن طعامه ليقدمه للقطط ، وعندما كان يحس به والده كان يسأله عند عودته إلى البيت عن طعامه الذي كان ينبغي أن يتناوله في المدرسة ، فيعرف أنه مازال جائعًا لأن الطعام صار من نصيب القطط .

ومن الذكريات الجميلة التي يذكرها رفائيل دائمًا ، شهر رمضان ، ولعب الكرة في ذلك الشارع الصغير مع أطفال الجيران ، والجميل في ذلك أن ذلك الشهر كان يجمع الناس ويقربهم أكثر ، فكان الجميع يشاركون في اللعب ، مسلمون ويهود ونصارى ، وبعد المغرب يكون الهدوء أكثر بسبب وقت الإفطار ، ثم بعد ذلك يخرج الناس للسهر في الليل ، لذلك كان الأطفال يفرحون لوجود الضحيج في الليل . حتى المشاكل التي كانت بين الأطفال كانت عادية وطفولية ، وإذا حدثت مشكلة أكبر من المعتاد كان الكبار يتدخلون ويعالجونها وديًا من دون أية تعقيدات .

صورة عائلية فيها والد ووالدة رفائيل ويبدو رفائيل متوسطًا أختيه بيتي وريتا

في تلك الأجواء المفعمة بالدفء والمليئة بمعاني السلام والهدوء ورغد العيش ، نشأ رفائيل في عائلة لا يمكن أن يرى فيها الإنسان مهما اقترب منها أي شيء يجعلها تختلف عن المجتمع الليبي ؛ الفرق الوحيد بين اليهودي والعربي في ذلك المجتمع كان (الدين) ، ولكن هذا الفرق لم يكن يسبب أية مشكلة لأي جانب ، سواء أكان الجانب العربي أم الجانب اليهودي ، كذلك كانت هناك بعض الحقوق المدنية حرم اليهود منها ، من تلك الحقوق ، الحق في الترشيح والانتخاب والعمل في الجيش أو في المناصب المهمة في الحكومة في ذلك الوقت ، ولم يكن من حقهم شراء أية عقارات إلا مع شريك عربي ، وفي فترة ما كان ممنوعًا على العائلة اليهودية أن تسافر خارج البلد بجميع أفرادها ، وكان مفروضًا عليها أن تترك على الأقل أحد أفرادها ، ولكن على الرغم من هذا

كله كان اليهود يقبلون بذلك تجنبًا لأية مشاكل . كما كان يلاحظ بعضهم أن الصحف التي كانت تصل من إيطاليا تتعرض للرقابة ويقوم المراقبون بقطع صفحات منها ، فكان اليهود يحسون أن الصفحات المقطوعة كانت تتحدث عن إسرائيل . وعندما كان اليهود يرسلون إلى الخارج في طلب كتب دينية من أجل التعبد ، كانوا يلاحظون أن الرقابة تمحو نجمة داوود السداسية . ولكن في مقابل هذا كان هناك بعض اليهود من يتقلدون مناصب حساسة جدًا في الدولة ، منهم على سبيل المثال المحامي يوسف حبيب الذي كان مستشارًا مهمًا في سلك الأمن والمخابرات ، وكذلك رفائيل فلاح الذي كان على علاقة مهمة وعملية مع شخصيات مهمة في البلد بسبب العمل ، والأمثلة كثيرة .

تلك الحياة وتلك النشأة غرست في رفائيل عشق السلام والحوار والانفتاح على الآخر ، لأن رفائيل تعلم دينه من عائلته المتدينة ومن المدرسة العبرية ، ولكنه تعلم هذا كله وهو يعيش في عائلة ضمن أقلية يهودية في مجتمع مسلم ، فرأى الإسلام يتمثل أمامه في صورة المجتمع الليبي وروحه ، والذي ارتبط بتاريخه النضالي ضد المستعمر الطلياني ، فكانت شخصية عمر المختار شخصية تعلق بها رفائيل ، وارتبط حس رفائيل من جانب آخر بسماع الأذان خمس مرات كل يوم فصار ذلك زادًا له لينعم بحياة الدفء ، كما رأى أخلاق مجتمع مسلم جعله يطمئن إلى التعامل مع المسلمين بثقة . هذا كله إلى جانب تعلم رفائيل في المدرسة المسيحية ، كون عنده معرفة بالأديان الثلاثة ؛ فازداد ثقة ويقينًا بأن الموادعة والحوار ليسا من المستحيلات .

زد على ذلك الفرصة التي تيسرت لرفائيل من وراء ذلك وهي تعلمه ثلاث لغات بشكل متوازٍ ، وهي اللغة العربية واللغة العبرية واللغة الإيطالية ؛ فتكونت عند رفائيل جملة أفكار ما أجمل مناقشته فيها ، أفكار مرنة تتعلق بمسائل من أشد القضايا حساسية في عالم اليوم ، إنها قضايا ترتبط بالسامية والصهيونية

صورة مدرسية تجمع رفائيل وزملاءه من مدرسة لاسالي في المرحلة الابتدائية

وما يتعلق بهما .

السامية عند رفائيل هي عرق وليست دينًا ، بمعنى أن مصطلح السامية جاء من اسم (سام بن نوح) وهو الذي ينحدر منه أبو الأنبياء (إبراهيم/ابراهام) ، وإبراهيم هو جد بني إسرائيل وجد العرب ، ما يعني أن العرب هم أيضًا ساميون .

أما الصهيونية فهي حركة سياسية ، وفيها تجد المتشدد وتجد الاستيطاني وتجد الذي يحب السلام والتعايش ، كما تجد فيها المتدين والعلماني ، اعتدالاً وتطرفًا ؛ لذلك فإن رفائيل يرى أن من الأخطاء التاريخية اعتبار الحركة الصهيونية عقلية واحدة .

كما يؤكد أن اليهودية ليست هي الصهيونية لأن اليهودية دين وأتباعها كل يدينون باليهودية ، أما الصهيونية فهي حركة سياسية ربما يكون فيها غير اليهودي أيضاً ، وأساس تكون الحركة الصهيونية هو أنها بدأت على أنها حركة تحرر اليهود .

وفي مقابل هذا كله فإن رفائيل لا يضع أصحاب الأيديولوجيات في الحركات السياسية والاجتماعية المختلفة في سلة واحدة ، فمثلاً هو لا يحكم على المسلمين بالتشدد والتطرف ، بل يعلم علم اليقين أن الاعتدال هو الأساس في الدين الإسلامي ، وهو موجود عند الشريحة الأكبر والأوسع عند المسلمين .

كما أنه لا يرى أن النازيين الذين قتلوا الملايين من اليهود يمثلون ألمانيا بأي حال ، لذلك هو لا يحكم على الألمان جميعًا بالنازية ، فالألمانية عرق أو أعراق والنازية حركة سياسية .

بالتالي فإن الحركة الصهيونية ، كما يراها رفائيل وغيره ، هي مثل الحركات السياسية الأخرى في العالم ، وفي كل حركة يوجد التسامح والتشدد .

من جانب آخر يضيف رفائيل إن اليهود الذين دخلوا وشاركوا في مجازر

صورة مدرسية يبدو فيها رفائيل وسط زملائه وأمامهم في المدرسة الإعدادية

كمجزرة دير ياسين ، تم الحكم عليهم بالخروج من الملة اليهودية من قبل ربيين ورجال دين كبار ، كذلك ما حدث في صبرا وشاتيلا ، حين كان وزير الدفاع وقتها هو شارون ، وكان متشدداً جداً ولكن بعد المجزرة ماذا حدث؟ أقالوه من منصبه وبقي مدة ٢٠ عامًا لم يفعل شيئًا ولم يتقلد منصبًا ، في مقابل هذا يخبره رفائيل فلاح الذي زار القذافي عام ١٩٩٣ ، بأن القذافي خشي أن يعلن أنه تمت محاكمة القريتلي ، الذي قتل عائلتين من العائلات اليهودية في طرابلس (قصة القريتلي وقتل العائلتين سنتعرض لها بالتفصيل في الصفحات التالية) ، لأن القذافي خاف إذا أعلن ذلك فربما يواجه غضبًا من الناس يعترضون على معاقبة مذنب مثل القريتلي ، بينما في مجزرة صبرا وشاتيلا تمت إقالة شارون وعدد من الضباط الكبار .

ويقول رفائيل إنه يذكر عندما كان يعمل مع التلفزيون الإيطالي طلبوا منه أن

يجري حوارًا مع يهودي متدين جدًا في القدس وهو رجل تنفيذي في منظمة التحرير الفلسطينية ، وعندما أراد رفائيل أن يضغط على الجرس وجده مكتوبًا عليه اسمه (رباي هيرش ليس صهيونيًا) . إذن من هذا كله يجب التفريق بين اليهودية كدين وبين الحركة الصهيونية والممارسات التي يقوم بها سياسيون أو أشخاص يهود .

رفائيل لوزون هنا هو نموذج يوجد منه في أوساط اليهود ، وخصوصًا يهود الدول العربية ، كثير ؛ بل إن رفائيل يؤكد أن اليهود الليبيين ، كنموذج لليهود في الدول العربية ، لم يكونوا حاضرين في أجندات ومخططات مثل وعد بلفور قبل ١٩٤٨ ، وبالتالي لم يكن اليهود الليبيون يفكرون في الخروج من بلادهم (ليبيا) .

كذلك عملية خروج اليهود على مراحل من ليبيا منذ الأربعينات وحتى عام ١٩٦٧ ، كانت بتخطيط من جهات أجنبية وبتدبير من الإنجليز ، لذلك كان معظم اليهود الذين ذهبوا إلى إسرائيل بعد ذلك يريدون شيئًا واحدا هو الأمن والأمان ؛ هذا مع وجود نسبة منهم ذهبت إلى إسرائيل وفي نيتها القناعة الأيدولوجية لتحقيق الهدف الصهيوني من أجل دولة إسرائيل .

ولكن بعد قيام دولة إسرائيل صار المقيمون فيها يعتبرون أن إسرائيل هي موطنهم الذي لا بديل لهم عنه ، ومن هؤلاء يوجد المتشدد والمتعصب ، ومنهم كذلك أمثال رفائيل لوزون ورفائيل فلاح .

رفائيل لوزون ومن مثله يعتقدون أن الله هو رب جميع الأديان لأنه هو القادر على أن يعبر عن نفسه من خلالها جميعًا ، وهذا في رأي رفائيل يسهل عملية التقارب والتفاهم والحوار ؛ وهو يربط بين هذا وبين خروج اليهود من ليبيا ، طالبًا إعادة وإحسان قراءتها من جديد لمعرفة من خطط لها ولماذا وقعت وما نتائجها وما ينبغي أن يكون .

لماذا خرجوا من ليبيا؟

يتحدث رفائيل عن قصة الخروج من ليبيا مبتدئًا بالحديث عن حياة اليهود في طرابلس وبنغازي ، ثم قصة المظاهرات التي بدأت منذ عام ١٩٤٥ ، أي منذ قبل ولادته ، فيقول :

«في طرابلس كان عندنا أقارب يسكنون في شارع الاستقلال ، وفي شارع كان اسمه شارع استنبول ، قرب المدينة القديمة ، كنا نذهب في الصيف وفي بعض المناسبات لزيارتهم ، وكنا نذهب إلى منطقة في طرابلس اسمها الودان والليدو ، لأن معظم اليهود كانوا يذهبون إلى البحر هناك .

كانت حياتنا في بنغازي وحياة معارفنا في طرابلس طيبة ، وكنا نحس بمتعة السفر والزيارات التي كانت تجعل الحياة أجمل ، وأذكر كيف كنا نحتفل مرتين في العام ونذهب في نزهات وإلى السينما ، في بنغازي كنا نذهب إلى سينما ريكس والحرية ، وفي طرابلس إلى سينما الودان ، وكنا نذهب إلى الحفلات الغنائية خصوصًا عندما يأتي فنانون عرب كبار مثل أم كلثوم وعبد الحليم وصباح .

كنا نعيش تلك الحياة على الرغم من المشاكل التي كانت موجودة منذ نهايات الحرب العالمية الثانية ومجيء الإنجليز إلى ليبيا قرب الاستقلال .

ويبدو أن الدور المهم غير الرسمي من ضمن مهام الإنجليز غير الرسمية ، خصوصًا بعد تأسس دولة إسرائيل ، هو تسهيل هجرة اليهود إلى إسرائيل بالتعاون مع اليهود الذين كانوا يعملون على ذلك الأمر ، وهؤلاء كنا نسميهم (الصهاينة) ، لأنهم يقولون إن فلسطين هي موطن اليهود منذ ألفي عام ؛ ولكن في المقابل كان معظم اليهود الليبيين لا يعتبرون أن لهم موطنًا سوى ليبيا ، على الرغم من أنهم يرون أن إسرائيل هي موطن لليهود ، ويقولون إنهم كانوا يعيشون فيها منذ ما يقرب من ٢٣٠٠ عام ، لذلك هم لم يفكروا في الخروج منها مهما كان .

في نوفمبر من عام ١٩٤٥ كانت هناك مظاهرة في ليبيا وخصوصًا في طرابلس . هجمت المظاهرة على الحارة الكبيرة والحارة الصغيرة ، وقتل ما يقرب من ٢٥٠ يهوديًا وجرح ما يقرب من ٣٠٠٠ شخص ؛ وقد حكى لي أناس ممن حضروا ذلك الحدث أن المظاهرات كانت تحت عين الجنود الانجليز لأنهم عندما حضروا هناك لم يفعلوا شيئًا ، بل تجاهلوا الأمر ووقفوا يتفرجون على الرغم من استنجاد بعض الناس بهم ، ولكن مع اقتراب الليل بدأ الجنود الانجليز في التدخل لإيقاف المظاهرات .

هذا أشار إشارة واضحة إلى أن الأمر من صناعة الانجليز لكي يجعلوا اليهود يخافون ويفكرون في الهجرة خارج ليبيا ، حتى يأمنوا على أنفسهم من أية هجومات أخرى ، خصوصًا أن ذلك الهجوم حدث في وقت وجود الإنجليز ، وأن الأمر سيزداد خطورة إذا حدث مرات أخرى بعد الاستقلال وخروج الانجليز من ليبيا ، لأن الأمر سيكون أشد إذا خرجت الحماية الانجليزية ، لذلك أراد الانجليز أن يبعثوا الخوف في قلوب اليهود فيخرجوا من ليبيا ، ويمكن حينها للانجليز أن يرسخوا العداء بين اليهود وبين العرب» .

ويتابع رفائيل : «وبالفعل بدأ التفكير في الهجرة ، ولكن لم يخرج اليهود كلهم . وأنا أعتقد جازمًا أن الذي حدث لم يكن رغبة في الخروج من ليبيا ، بل كان بدافع الخوف والرعب من البقاء والتعرض لهجومات أخرى قد تكون أشد وأعنف ؛ هذا مع الاعتراف بوجود نسبة من اليهود خرجوا لأسباب أيديولوجية ، كما ذكرت ، أما الأغلبية فقد كانت تبحث عن الأمان والاستقرار .

ما بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ بدأت دفعات من اليهود تهاجر إلى إسرائيل في بواخر . تلك كانت من مهام مكاتب الهجرة في ليبيا التي سهلت العملية ، وكأن العملية كانت محبوكة بشكل جيد ، فقد حدثني والدي أنه حضر الأحداث وكان شابًا في العشرين من عمره تقريبًا ، رأى الذبح

والقتل ، لذلك عندما جاءت مكاتب التسهيل والهجرة كان اليهود مستعدين نفسيًا للهجرة .

عندما تم إعلان دولة إسرائيل في شهر مايو من ١٩٤٨ ، جاءت الأخبار أن هجومًا آخر أكبر سيحدث لأن إعلان دولة إسرائيل سيزيد الحنق والكراهية في النفوس ، لذلك بدأ اليهود في ليبيا يستعدون لمواجهة أي هجوم للدفاع عن أنفسهم .

بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٥٢ خرج من ليبيا ما يقرب من ٣٦٠٠٠ يهودي في موجتين ، الموجة الأولى بين ١٩٤٥ و ١٩٤٨ والموجة الثانية بين ١٩٤٨ و١٩٥٢ . وعندما حدث الاستقلال في ليبيا في عام ١٩٥١ بقيت مكاتب الهجرة تلك مدة سنة وشهرين تقريبًا ، مع العلم أن المكاتب تلك كانت مكاتب صهيونية ، وتحمل علم إسرائيل ، ترتب لأمر هجرة اليهود إلى إسرائيل . وفي عام ١٩٤٨ كانت هناك مظاهرة أخرى ، ووقع قتلى من الطرفين ، من العرب ومن اليهود ، وبقي الأمر هكذا حتى تدخل كبار القوم من العرب ومن اليهود . أخبرني والدي أن الانجليز كانوا يتفرجون ويضحكون من القتال بدلاً من التدخل لحل المشكلة .

بعد تدخل كبار القوم وعقدهم لقاءً كبيرًا انتهت المشكلة وطمأن العرب اليهود بأنهم سيكونون في أمان ، ومن أراد أن يبقى سيبقى في أمان ومن أراد أن يهاجر سيهاجر في أمان أيضًا . بعد ذلك قامت الجامعة العربية بإغلاق المكاتب ومنعوا السفر بعدها ، وبذلك بقي ما يقرب من ٥٠٠٠ يهودي تقريبًا في ليبيا حتى عام ١٩٦٧ .

بعد إغلاق المكاتب وبقاء هذا العدد من اليهود في ليبيا عادت الحياة من جديد حياة جميلة خصوصًا مع بداية اكتشاف البترول وتحسن الحياة الاقتصادية في البلد ، فقد بدأ اليهود يشاركون في مجالات العمل المختلفة لكي تصل ليبيا إلى أحسن مستويات النماء والرخاء ، لذلك فإن هؤلاء اليهود الذين بقوا حتى

عام ١٩٦٧ يحنون دائمًا إلى ليبيا التي عاشوا أجمل أيامهم فيها ما بين عامي ١٩٥٢ و١٩٦٧ ، فقد عاش جيلي حياة رغد وسعادة لا يمكن أن ننساها» .

تصاعد الأحداث عام ١٩٦٧

يقول رفائيل : «المشاكل بدأت منذ عام ١٩٦٥ ومنذ مقتل اثنين في المظاهرات الطلابية ، في ذلك الوقت بدأ بعض المتظاهرين بالتحرك ضد اليهود ، على الرغم من أن المظاهرة كانت ضد النظام الحاكم في ذلك الوقت ، ولكن لأن المتظاهرين لم يستطيعوا فعل شيء للحكومة اتجهوا إلى اليهود .

هذا الذي حدث هو في خضم ما كان يحدث منذ قيام دولة إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ؛ أما قبل ذلك فلم تكن هناك مشاكل بين اليهود والعرب في البلاد العربية .

ومنذ بداية عام ١٩٦٧ ، قبل الحرب ، أذكر أن بعض أصدقاء والدي ومن كانوا يتعاملون معه من غير اليهود ، وكذلك أصدقاء ومعارف بعض اليهود الليبيين الآخرين ، كانوا يتحدثون عن مسألة أن اليهود سيقتلون لذلك كان الأصدقاء ينصحون والدي بالخروج قبل الأحداث .

في شهر مايو أقيم أسبوع فلسطين وكان هناك جمع تبرعات لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقام اليهود الليبيون بالاشتراك في ذلك مثل غيرهم من الليبيين ، على الرغم من أنهم كانوا يحسون أنهم يعطون تبرعات لأناس ربما يقتلونهم في وقت لاحق .

مرة أذكر أنني ذهبت للحلاق الذي أحلق عنده رأسي ، وكان اسمه شفيق ، وكنت صغيرًا ، وكان يعتبرني صديقه ، فهمس لي في أذني قائلاً إنه سيأتي يوم يقتلني فيه ؛ كذلك كان يحدث الشيء نفسه عندما كنت أذهب إلى بعض الصيدليات التي يتعامل أصحابها مع والدي ، وكانوا يهددونني وكنت أخبر

والدي بذلك .

وأذكر أنه من قبل يوم ٤ يونيو انقطع الخدم الذين كانوا يأتون للعمل عندنا عن المجيء ؛ وأذكر أن مربيتنا زينب جاءتنا في وقت كان الناس يتوعدوننا فسألناها عن الذي يجري حولنا فسكتت ولم تجب تجنبًا لأية مشاكل ، وكانت فقط تبكي شفقة علينا .

لذلك كله ولغيره أعتقد أن ماحدث لنا في ٦٧ لم تكن له علاقة مباشرة بحرب فلسطين ، وأعتقد أنها كانت مرتبة مسبقًا ، غير أن الحرب أزمت العملية أكثر ؛ لأن التهديدات كانت قبل الحرب أساسًا .

على الرغم من هذا الذي حدث ، نحن لا نقول إن الليبيين في ليبيا هم الذين أرادوا هذا ، بل إنه حدث بتدبير وتخطيط من جهات أخرى ، فنجحوا في تهجير اليهود من ليبيا ، أما من ناحية دينية فنحن نعتبر أن هذا العنف حرام تمامًا ، كما أن إشعال النار عندنا حرام يوم السبت .

وهناك من كان يقول إن ذلك الأمر كان مرتبًا له من قبل ضباط في الجيش الليبي لكي تحدث الفوضى المناسبة من أجل الانقلاب على النظام الملكي . ولكن الذي كنا متأكدين منه هو أن الأمر تم بترتيب معين ولم يحدث بسبب الحرب فقط .

أذكر من الطرائف أن أختي الصغيرة ريتا وكان عمرها ٣ سنوات تقريبًا ، وبينما كانت تقف مطلة من نافذة بيتنا على الشارع ، مر شخص وشتمها بكلمة مناديا إياها بـ (يا يهودية) فردت عليه الشتيمة نفسها منادية إياه بـ (أنت يا يهودي) على الرغم من أنه لم يكن يهوديًا» .

مشاهد مرعبة

يقول رفائيل : «يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ كان أول يوم في امتحانات مدرستنا

(مدرسة لاسالي) الإعدادية النهائية ، وكان عمري ١٣ عامًا تقريبًا . في تلك الأيام كانت التهديدات التي ذكرتها مستمرة تأتينا من أصحابنا ومن نعرفهم ومن الجيران .

في الصباح كنا في المدرسة داخل الفصول ، فدخل علينا مدير المدرسة وهو إيطالي ورجل دين مسيحي وكان مرعوبًا ، وكنا نسمع الضجيج والأصوات التي كانت تنادي بذبح اليهود في الشارع ، وقال لنا إنه يريد الطلبة اليهود أن ينزلوا معه إلى الإدارة ، فشعرنا بأن هناك شيئًا غريبًا كان يحدث لليهود تحديدًا .

في الإدارة قال لنا إن معركة كبيرة حدثت بين العرب وإسرائيل فخرجت في ليبيا مظاهرات قوية ضد إسرائيل ، وبالتالي ضد اليهود الليبيين في ليبيا . نحن كنا نسمع مصدومين ومتعجبين لأن الحرب لم تكن في ليبيا فلماذا تحدث عندنا هذه المشاكل وما ذنبنا نحن .

رفائيل في الفصل وعلى الشمال مدير المدرسة والرجل الآخر

كان القنصل الإيطالي في ليبيا

المدير اتصل ببعض الناس الذين لديه هواتف بيوتهم ليأتوا ويتعاونوا في إيصالنا إلى بيوتنا وحمايتنا من أي هجوم ، وتعاون مع هؤلاء بعض من المتدينين من المدرسة في إيصال من لم يأتهم أحد من أهليهم إلى بيوتهم سالمين ، ولكن بقيت أنا وأختي (بيتي) لم يأخذنا أحد لأنهم اتصلوا بأبي في دكانه فلم يرد لأن الناس هجموا عليه في دكانه ففر منهم إلى البيت ، غير أننا رأينا شخصًا متدينًا كان يعمل في الكنيس اليهودي وكنا نعرفه وكانت له لحية وكان اسمه (خموس) ، فناديناه وجاءنا وكان شكله لا يبدو عليه أنه يهودي ، فقال لنا إنه علينا أن نتبعه وألا نتكلم إلا باللهجة الليبية ، وأن ندعي أننا محمد وفاطمة ولسنا رفائيل وبيتي ، ونصحنا أن نتجنب الحديث نهائيًا في الشارع تجنبًا لأية مشاكل ، أخذنا ومررنا في طريقنا لنأخذ أختي الصغرى ريتا .

خرجت المظاهرة في ميدان اسمه ميدان الاستقلال (بياتسا كاني) وفيه مخزن كبير جدًا لعائلة (بدوسا) وهو يهودي من شرق البلاد ، وهو كان من قبيلة العواقير التي تبنته قبل ذلك بسنين ، وهو مشهور جدًا وغني ، هجم الناس على المخازن تلك وأحرقوها بالنار بشكل مخيف ، كنا نحن الأطفال مرعوبين .

كان خموس ، الرجل الذي معنا ، يطمئننا كي لا نخاف ، وكنا نسمع في المظاهرات هتافات كبيرة من مكبرات الصوت تهتف بحياة جمال عبدالناصر والموت لليهود ، وكنا نحن كأطفال متعجبين من هذا كله ، فنحن لم نكن نعرف السياسة ولم نكن نعرف شيئًا عن إسرائيل ولا عن الحرب ، وكنا نتساءل عن هذا .

عند قرب وصولنا إلى البيت وجدنا شخصًا يعرفه خموس وهو ليس يهوديًا وسأل خموس إن كان هاربًا من الناس ، فأجابه بأنه لم يكن هاربًا ولكنه كان يريد توصيلنا إلى بيتنا ، فرد الرجل قائلاً إن هذا أفضل لنا ولخموس لأن اليهود في ذلك اليوم ليس من مصلحتهم أن يبقوا في الشارع .

وصلنا إلى البيت في شارعنا ، شارع امبارك الشريف ، وكان ميدان البلدية مليئًا بالمتظاهرين وهم يحرقون ويضربون ، فقد كان هناك في المنطقة ما يقرب من ثمانية مخازن لليهود ومنها مخازن والدي الأربعة ، ورأينا خموس يأخذ عصا غليظة ليدافع بها عن نفسه إذا هاجمه الناس .

في اللحظة التي وصلنا فيها إلى البيت وأغلقنا الباب وراءنا كانت المظاهرات قد وصلتنا إلى شارعنا ، الشيء الذي تعجبنا له أن باب بيتنا لم يتمكن المتظاهرون من فتحه ، على الرغم من أنه كان بابًا عاديًا في بيت ليبي يسهل فتحه ، وأنا أعتقد أن ذلك كان حماية من الله لأن الباب كان يمكن فتحه بدفعة صغيرة .

عند ذلك بدأ المتظاهرون يحرقون مخازن أبي التي كانت تحتوي على أدوية ومواد تجميل وعطور وفيها علب قابلة للاشتعال والانفجار ؛ في أثناء الحريق سمعنا أصوات انفجارات في المخازن ؛ وكان أحد المخازن تحت بيتنا ونحن كنا في البيت ونغلق الأبواب والنوافذ ، فدخل علينا دخان أسود ولم نستطع فتح النوافذ لكي نتخلص من الدخان خوفًا من المتظاهرين ،لذلك أمرنا أبي بالانبطاح على الأرض خوفًا علينا من الموت اختناقًا لأن الدخان كان يتصاعد إلى الأعلى ، على الأقل لفترة ربما نجد فيها ما ينقذنا من هذا الموت المحقق . كذلك أحرق المتظاهرون مخازن يهودي آخر اسمه الزروق وكان يتاجر في العطور ومواد الزينة فحدثت انفجارات في مخازنه أيضًا .

عم الرعب في أوساط اليهود الليبيين وكان البكاء والخوف والهلع يعم كل مكان بسبب هذه الأحداث المرعبة ، خصوصًا بين النساء والأطفال . أذكر أن أحد أقاربي تقيأ من الخوف والرعب .

استمر الناس في ضرب باب بيتنا حتى ظننا أن المتظاهرين سيقتلوننا لا محالة ، وبقي الحال كذلك حتى وصلت القوة المتحركة تدفع الناس عنا ، ثم

سمعنا طرقًا على الباب ، ولكننا لم نرد ولم نفتح الباب خوفًا على أنفسنا ولم نتجرأ حتى على الاقتراب من الباب ، فسمعنا صوت الضابط ، وهو ضابط كبير يعرف والدي ، كان يعرف بنفسه ويطمئن أبي ليفتح له الباب بعد أن أبعدوا المتظاهرين .

والدي خاف ولم يستطع فتح الباب فطلب من الضابط أن يفتح الباب ويدخل بنفسه فدخل وصعد إلينا وهو يطمئننا وطلب من أمي أن تنظر من النافذة لترى أعدادًا كبيرة من الشرطة التي جاءت لحمايتنا وإنقاذنا نحن واليهود جميعًا ؛ وعرفنا بعد ذلك أن الملك أرسل القوة المتحركة لحماية اليهود من دون ممارسة عنف ضد المتظاهرين ؛ وأرادوا حمايتنا بإخراجنا من هناك .

طلب منا الضابط أن نخرج جميعًا فطلبت أمي من الضابط أن يساعد أخاها (خالي) لأن يده كانت مقطوعة من أيام الطليان ، فوافق الضابط على ذلك . أخرجنا الضابط إلى ميدان البلدية ورأينا شيئًا عجبًا ، رأينا الشرطة تحاصرنا من كل مكان ، وكان من ورائهم المتظاهرون يشتموننا ويعيروننا بأننا يهود وغير ذلك ؛ كانت أعداد المتظاهرين تبلغ آلافًا حسب تصوري في ذلك الوقت ، وكأن البلد كلها اجتمعت هناك .

أذكر أثناء الهجوم علينا وعلى المخازن أن هناك من هجم على مكان العبادة (الكنيس) وأحرقوه . للتاريخ ، أذكر أن هناك أناسًا كانوا مثالاً لليبيين الطيبين وعلى رأسهم الحاج محمد الصابري ، الذي بدأ يدفع الناس عن المكان وهو يقول لهم إن هذا لا يجوز ، ويصيح في وجوههم وينهاهم عن إحراق المكان لأنه مكان عبادة ، كما كان ينهاهم عن تخويفنا لأننا عائلات وأطفال ، كان ذلك قبل حضور القوة المتحركة .

في ميدان البلدية بدأت القوة المتحركة تنقلنا إلى السيارات الكبيرة ليخرجوا بنا من ذلك المكان ومن بنغازي كلها ؛ كانت السيارات الكبيرة مغطاة

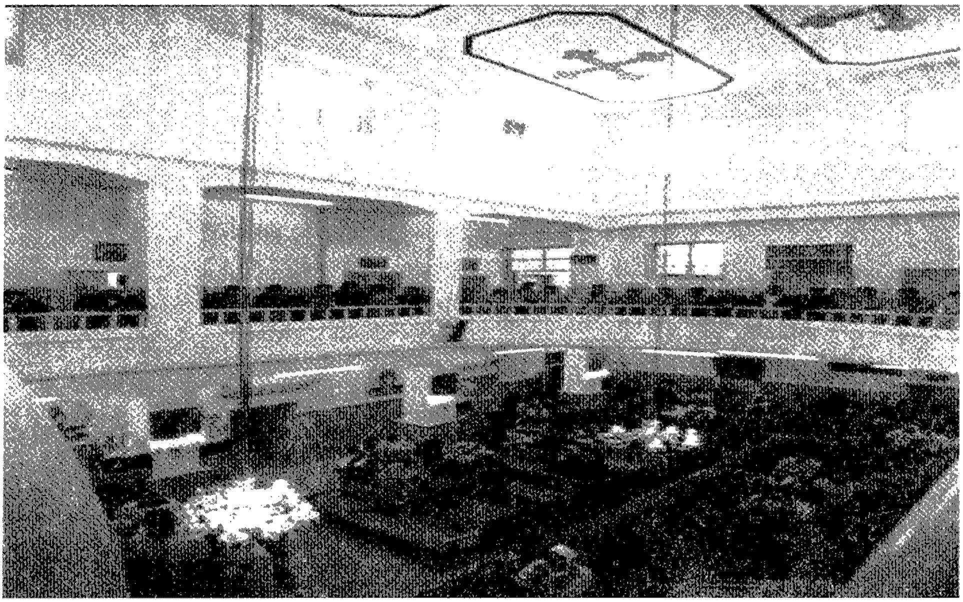

الصلاة الكبيرة من داخلها في بنغازي وتحولت بعد ذلك إلى كنيسة قبطية

وكنا نحن في داخلها وأمرنا الشرطة بعدم فتح أو رفع الغطاء حتى لا تصيبنا حجارة أو ماشابه ذلك .

ركبنا في تلك السيارات بملابسنا التي كنا نرتديها فقط ولم نأخذ معنا شيئًا ، وكنا نحن الأطفال نصر على رفع الغطاء لننظر ماذا كان يجري في الخارج ، فرأينا جميع المخازن التي نعرف أصحابها وقد احترقت ، أحرقوا من المخازن ما يقرب من ٩٩٪ .

وضعونا مؤقتًا في مركز شرطة في بنغازي وعاملونا معاملة طيبة ولطيفة وأعطونا الشاي والقهوة ، ولكن بعد ذلك سمعنا أصوات المتظاهرين وهم يصلون إلينا مرة أخرى ؛ عندما وصلت المظاهرة اشتد رعبنا أكثر من خوفنا عندما كنا في بيوتنا ؛ لأننا رأينا الضباط خائفين أيضًا على الرغم من أنهم كانوا يحملون السلاح ووسائل الدفاع ، ولكن المظاهرة كانت كبيرة والمشكلة أن الشرطة كانت

عندهم أوامر بعدم إطلاق النار .

لم يكن المتظاهرون يحملون أية أسلحة سوى بعض العصي والحجارة والسلاح الأبيض ، وكان عددنا ٤٠٠ شخص تقريبًا في المركز ، فأمرنا الضباط بالصعود مرة أخرى إلى السيارات الكبيرة وخرجوا بنا بسرعة لتفريق الناس والهروب بنا واتجهوا بنا إلى مخيم في قاعدة عسكرية ليبية ، وقالوا لنا إن المكان أكثر أمانا ، وأحضروا لنا أسرة جديدة وأحضروا لنا القهوة والشاي والحليب فقط ، على الرغم من أننا لم نأكل شيئًا طوال اليوم ، ولكن عذرهم أنهم كانوا مشغولين بالمظاهرات يعملون على تفريقها ، واعتذروا لنا لأنهم لم يقدموا لنا الطعام المناسب ووعدونا بأن يفعلوا ذلك في اليوم التالي» .

في المخيم في القاعدة العسكرية

يواصل رفائيل : «بتنا تلك الليلة ولم ينم منا أحد ، فكل واحد كان يريد أن يعرف ماذا جرى وما الذي سيجري بعد ذلك وإلى متى سيستمر الحال ، وعلى الرغم من أن عددنا كان ٤٠٠ تقريبًا غير أن الهدوء كان مسيطرًا علينا بسبب الصدمة والخوف ، وكانت هناك شائعات منها أنهم جمعونا في هذا المكان وحدنا كي يقضوا علينا جميعًا .

في الصباح أتانا مجموعة من الضباط الكبار وقالوا لنا إن الرجوع إلى بنغازي صار شبه مستحيل ، واقترحوا علينا أن يحضروا لنا كل ما يلزمنا وأن نبقى حتى نرى ما يجد في الأمور .

بعد ساعتين تقريبًا أحضروا لنا ما يلزمنا من طعام (أرز ودقيق وخبز وغير ذلك) وعاملونا معاملة طيبة وحاولوا مساعدتنا بكل ما يستطيعون ؛ ثم بدأت الأمور تستقر شيئًا فشيئًا وبدأت النساء في إعداد الطعام ، ولكن بقيت أمورنا غير مستقرة بشكل كامل ، فالحيرة والخوف كانا مسيطرين على الناس ؛ وبقينا

نأكل طعامًا بلا لحم لمدة ٣ أو ٤ أيام ، لأن الضباط سألونا إن كنا نريد لحمًا فأجابهم الرجال إن اللحم لا بد أن يكون مذبوحًا على الطريقة اليهودية (كوشر) ؛ فسأل الضباط إن كان عندنا ربي يمكنه أن يذبح ، فأجابه الرجال بالإيجاب فجلبوا لنا دجاجًا حيًا بعد ذلك وصار الربي يذبح لنا جميعًا .

كان الحال بشكل عام حالاً سيئًا ، ولكن بالنسبة لنا كأطفال كنا نشعر وكأننا في رحلة أو مغامرة من المغامرات التي نقرأ عنها في القصص ، فكنا سعداء شيئًا ما على الرغم من أن الكبار كانوا في هم وحزن وخوف كبير .

بقينا هناك ما يقرب من ٢٠ يومًا ثم جاءنا بعض الضباط وقالوا لنا إن الرجوع إلى بنغازي صار صعبًا لأن المظاهرات ستعود حتمًا إذا رجع اليهود مرة أخرى ، وقال الضباط إنهم لن يستطيعوا حمايتنا إذا هجم علينا المتظاهرون من جديد ، واقترحوا علينا أن نهاجر إلى خارج ليبيا بحثًا عن الأمان ، فاتفق معظم الناس على الخروج إلى إيطاليا ؛ وأعطوا كل واحد منا حقيبة ملابس واحدة وعشرين جنيهًا فقط .

في ليلة من الليالي أخذوا من كل عائلة شخصًا واحدًا وحملوهم إلى البيوت في بنغازي ليجمعوا ما يمكن جمعه من ملابس وحاجيات للعائلة كلها ورجعوا في الصباح . ذلك الصباح كان يومه حزينًا كئيبًا لأن الناس شعروا فعلاً بأنهم تخلوا عن كل ما يملكون ليخرجوا فقط بأقل ما يمكن من الضروريات المهمة .

أذكر أن والدي طلب من بعض الناس الذين ذهبوا تلك الليلة لجمع الحاجيات أن يفتحوا المخزن وأن يحضروا منه كل ما يستطيعونه من أدوية لكي يساعد بها من يحتاجون إلى دواء .

في مخيم بنغازي كنا فقط يهودًا من منطقة بنغازي ، ولكن المشكلة أن الناس صاروا يعيشون معًا طوال ساعات النهار والليل ؛ لأن الحياة لم تكن حياة

عادية بل كانت حياة حجز في المخيم ، فلا عمل ولا انشغال بشيء ، لهذا كانت تحدث مشاكل بين الناس بسبب الضيق والضجر ؛ في مقابل ذلك ، جعل المخيم الناس يقتربون من بعضهم بعضًا بشكل أفضل وتقاربت العائلات أكثر .

أذكر في ذلك الوقت وأنا صبي أنني رتبت مع مجموعة من الصبيان فريقًا ونصبت نفسي زعيمًا عليهم ، وكان عددنا ١٥ صبيًا تقريبًا ؛ طلبت من كل واحد من المجموعة أن يهتم لي بموضوع ، فالشباب والفتيات الذين هم أكبر منا سنًا بدأوا في بناء علاقات بينهم وقد تطورت بعض العلاقات إلى زواج ؛ فكنت أنا أطلب من المجموعة أن يقوم كل واحد منهم بمراقبة هؤلاء الشباب والفتيات لمعرفة أسرارهم وكيف يلتقون ، ثم أذهب أنا بعد جمع المعلومات إلى من نمسك عليهم أسرارًا وأهددهم أنني سأخبر عنهم إذا لم يعطوني شيئًا مقابل كتمان أسرارهم ، وبطبيعة الحال لم تكن لدى أحد أموال ، فكنا نطلب أشياء أخرى مادية مقابل الكتمان .

كما أذكر أن المشاجرات كانت تحدث بين الرجال بشكل واضح ، وذلك كما ذكرت من الضيق والضجر ، فقمت أنا ومجموعتي باستغلال ذلك ؛ فمثلاً في كل يوم أو يومين كانت تحدث مشاجرة بين اثنين أو أكثر ، لذلك كنت أجلس أنا ومجموعتي ونتراهن على من سيكون المتشاجرين في اليوم التالي ، فإذا أجاب شخص إجابة توافق ما يحدث يكسب الرهان ، وإذا كان العكس فعليه أن يعطي الرهان للفائز .

كان هناك أناس مدينون لوالدي بأموال وغيرها جاءوا مرة وباتفاق مع المسؤولين في المعسكر وتحدثوا عن الديون ؛ منهم من قال إنه لن يدفع شيئًا لأن اليهود خرجوا من ليبيا ولم يعد لهم شيء يأخذونه ، ومنهم من قال إنه سيدفع وإنه يعترف بأن عليه دينًا يريد أن يدفعه ؛ معظم هؤلاء كان والدي يوزع لهم بضائع وأكثرهم دفعوا ما عليهم .

من الذين أتوا إلى المخيم لمقابلة والدي رجل من مدينة البيضاء اسمه الحاج عياد بوروين وكان يملك صيدلية ويأخذ بضاعته من والدي ؛ هذا الرجل جاء يعرض على والدي معونته باعتبار أن والدي كان معه شريفًا ونظيفًا ، وعندما سأله أبي عن كيفية معونته له قال إنه يريد أن يشتري عمل والدي وأملاكه ، وكان هذا قبل سفرنا ، ووعد بأنه سيأتي إلى روما بعد سفرنا إليها ، وبالفعل جاءنا ليشتري من والدي أملاكه بنصف قيمتها فوافق والدي على ذلك مضطرًا حتى لا يفقد كل شيء ؛ ودفع الرجل لوالدي ١٠٪ من المبلغ المستحق ثم ذهب وأخذ كل شيء ولم نره بعد ذلك إطلاقًا . هذا كله مع الأحداث المتراكمة بعد ذلك في روما سبب المرض لوالدي .

عندما تم استعدادنا للسفر إلى روما أبلغونا بموعد الخروج إلى الطائرات ، نحن كأطفال عندما سمعنا أننا سنذهب إلى إيطاليا ظننا أنها فقط نزهة ، ولكن كان الحزن من حولنا يطغى على كل شيء ؛ وبدأ الناس يسألون عن معارفهم في طرابلس وعما جرى لهم ، وكان الضباط يجيبون بأن طرابلس حدث فيها قتل بعض اليهود وأن الحال في بنغازي كان أفضل ، فاشتد خوف الناس الذين لهم أقارب في طرابلس ، وكان لوالدي أخوان وأختان وأمه في طرابلس فكان مشغولاً بالسؤال عنهم .

سافرنا جميعًا ما عدا من قتلوا منا ، وكانت هناك امرأة من أقاربنا تزوجت برجل مسلم قررت البقاء» .

الوصول إلى إيطاليا وقصة المخيم

يقول رفائيل : «في الطائرة وهي تطير بنا في الجو ذاهبة إلى روما كنت أفكر هل سأعود إلى بنغازي مرة أخرى . . ما هذا الشعور الغريب الذي يمزج في نفسي بين مجهول لا أرى المستقبل من خلاله ، وبين حزن على فراقٍ لا أرى

من خلاله طريقًا قريبة للعودة؟

في روما استقبلنا في المطار يهود ليبيون وصلوا قبلنا ، وكان منهم يهودي كان في عقده الرابع من عمره اسمه رفائيل فلاح من طرابلس ، بعد ذلك نقلونا من المطار في حافلات إلى مخيم مهاجرين في إيطاليا قرب نابولي ؛ في ذلك المخيم التقينا مع اليهود الذين أتوا من طرابلس وعرفنا منهم بشكل أوسع الأخبار وماحدث في طرابلس تحديدًا .

المخيم في إيطاليا كان مخيمًا خاصًا بالمهاجرين وهو في منطقة قريبة من نابولي ؛ مشكلة هذا المخيم أنه كان مخيمًا مختلطًا من جنسيات مختلفة ، فتجد فيه مثلاً مهاجرين من أوروبا الشرقية ومن العالم الثالث ؛ هذا المخيم كانت فيه مشاكل لأن المستوى العام في التفكير وفي الحياة كان مستوى متواضعًا ، فتجد مثلاً سوء الأخلاق والتعامل بطرق سيئة إلى جانب عدم الاهتمام بالنظافة ، كما أنك تجد في هذا المخيم من يشربون الخمر وتجد المعارك التي تحدث بين الناس ، فتعبنا من هذا الجو الملوث الذي لم نتعوده في حياتنا كلها ولم نكن نتوقع أن نعيشه في يوم من الأيام .

عندما وجدنا أنفسنا في هذا المخيم ونعيش بتلك الطريقة ، صرنا نتمنى العودة إلى المخيم الذي كنا فيه في ليبيا ، لأننا بالمقارنة وجدنا أن ذلك المخيم كان جنة في مقابل هذا المخيم . هناك من بقي في هذا المخيم من اليهود الليبيين ٤ إلى ٥ أشهر ، وهي مدة تعتبر طويلة ومتعبة ، وفي المقابل هناك من بقي فقط أسبوعين .

أنا شخصيًا كنت أعاني من شدة التعفف من الأكل الذي لم أكن أثق في نظافته ، والمشكلة أن الطعام الذي كان يقدم لنا في ذلك المخيم كان طعامًا غير نظيف وينتشر فوقه الذباب ، فامتنعت عن الأكل كله تقريبًا ، حتى خافت أسرتي عليّ من المرض أو ربما الموت ، لذلك اقترحت أمي على أبي أن نخرج إلى

روما ونتدبر أمرنا بأية طريقة ، فخرجنا إلى روما وسكنا في فندق صغير يتناسب وإمكانياتنا المتواضعة ، وقد ساعدنا بعض الناس بعد ذلك في الحصول على شقة صغيرة بغرفة واحدة مناسبة شيئًا ما .

الفترة الأولى ، وهي ٦ أشهر تقريبًا ، كانت من أصعب الفترات ونحن مازلنا نعاني من أثرها على أنفسنا ، هذا فوق ما كنا نعانيه من أثر إخراجنا من بلادنا وإجبارنا على ترك أموالنا وأملاكنا ؛ وأذكر أن ثروة والدي بين أملاك وأموال كانت تصل في خلاصتها إلى ما يقرب من ٧ ملايين جنيه ليبي في ذلك الوقت .

المخيم في إيطاليا حدثت فيه أمور أخلاقية ، من ذلك أن المخيم بسبب الاختلاط فيه بجنسيات مختلفة من شتى دول العالم كان فيه بائعات الهوى ، وكان جماعتنا يمنعون شبابنا من الاقتراب منهن خوفًا عليهم من الأمراض والانحراف الأخلاقي ؛ وأذكر كذلك أن المخيم كان فيه من يسمونهم بـ (أعداء السامية) وهم غالبًا من روسيا وبولندا ، فكانت هناك مشاكل بسبب العنصرية وكانت الشرطة دائمًا تتدخل .

شيء آخر أذكره ، وهو أننا في ليبيا لم نكن نلتقي باليهود الذين من طرابلس كثيرًا ، لم نكن نلتقي بهم إلا في المناسبات إذا ذهبنا إلى طرابلس أو إذا جاءوا هم إلى بنغازي في المناسبات ، في المخيم في إيطاليا لاحظت الفرق بين يهود بنغازي ويهود طرابلس ، ونحن من بنغازي كنا نحمل عادات وتقاليد القرويين ، لذلك أذكر يوم أن وصل يهود الحارة من طرابلس في ٥ حافلات تقريبًا فوجئنا بصياحهم وضجيجهم عند الوصول ، فتعجبنا وتساءلنا عنهم فقيل لنا إن هؤلاء من طرابلس .

نحن تضايقنا لأننا شعرنا أن هؤلاء يختلفون عنا بدرجة كبيرة جدًا ، فلم تعجبنا بعض أخلاقهم وتصرفاتهم ، ولكن في مقابل هذا أذكر أننا بعد ذلك

تعرفنا إلى يهود آخرين من طرابلس كانت أخلاقهم وتصرفاتهم ممتازة ، ولكن أولئك لم يقيموا في المخيم وإنما سكنوا في روما .

من عيوب يهود الحارة أنهم كان منهم من يكذب ومنهم من لا يتورع عن فعل الأعمال المشينة ، وهذه الأخلاق والممارسات تعتبر جديدة علينا ولا نعرفها من قبل ، فمثلاً أذكر أن واحدًا منهم عرض عليّ أن نذهب وننظر إلى بائعات الهوى لنرى كيف يفعلن ، ونصحني بأن أكذب على والديّ وأقول لهما إنني ذاهب إلى لعب الكرة ، وقال لي إن هذا النوع من الكذب هو كذب أبيض .

بذلك وجدت نفسي في عالم مختلف عن العالم الذي عرفته في بنغازي ، لأن العلاقات كانت عندنا محترمة فلم أر شيئًا في بنغازي سوى المجتمع النظيف والمحترم .

قصة مقتل عمي وعائلته في طرابلس

وجدنا أقاربنا وسألهم والدي عن أمه فقالوا له إنها في صحة جيدة ولم تصب بأذى ، ثم جاءت جدتي ومعها عائلة ولم ينزلوا في المخيم بل أجروا مكانًا آخر وأقاموا فيه ، فذهبنا من المخيم لزيارتهم في محل إقامتهم في روما ، وهناك رأيت المشهد وهم يبكون ويعانق بعضهم بعضًا ويسأل بعضهم عن حال بعض .

والدي سأل أمه عن عمي شالوم وعائلته فقالت إنها لا تعرف عنهم شيئًا ، وإنه ربما يكون مختبئًا عند بعض معارفنا من العرب في طرابلس . مرت أسابيع ولم نسمع شيئًا عن عمي وعائلته ، فبدأ والدي يذهب إلى السفارة الليبية في روما يسأل عنهم ، وبقي عمي وعائلته مختفين مدة عامين تقريبًا ولا نعرف عنهم شيئًا ولم نحصل من السفارة على أية معلومات .

ثم بدأ بعض الليبيين ممن يعرفون أبي في ليبيا يزوروننا وكان هو بدوره يسألهم عن عمي وعن عائلته ؛ وهكذا حتى وصلتنا معلومات أن ضابطًا ليبيًا

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

مجموعة من الصور لعائلة شالوم لوزون

عم رفائيل التي قتلت في طرابلس عام ١٩٦٧

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

أخذهم هم وجيرانهم في الأحداث وحملهم في سيارة كبيرة هو وجنوده وقتلهم جميعًا خارج مدينة طرابلس في منطقة سواني بن يادم ، وحفر لهم حفرة كبيرة ودفن فيها عمي وزوجته وأبناءه الستة وجيرانهم وهم يهود أيضًا .

وقيل إن الضابط أمر الجنود بقتل العائلتين بالرصاص ، ولكن الجنود رفضوا فقام هو بقتلهم بنفسه ، وساعده الجنود في الدفن .

أحد أقارب العائلة الأخرى ذهب إلى السفارة الفرنسية وطلب منهم أن يساعدوه في معرفة الأخبار عن أقاربه هؤلاء فأبلغوهم بعد ذلك بمقتلهم ، وهناك من يقول إن أحد جيرانهم هو الذي وشى بهم عند الضابط ؛ ويقال إن الضابط الليبي الذي قتلهم ، وهو من عائلة القريتلي ، جاء ومعه مجموعة من الجنود وذهب بالعائلتين وقتلهم ثم دفنهم قرب مقبرة اليهود في حفرة جماعية . ويحكى من جانب آخر أن أحد أبناء عمي لم يقتل بل هرب وأخذته عائلة مسلمة وربته وصار مسلمًا ، ولكن هذه الرواية غير مؤكدة .

هذه المعلومات بدأت تصلنا في مطالع السبعينات من القرن الماضي بعد جهود كبيرة من البحث المضني والأسئلة ، حتى إن جدتي ذهبت إلى عرافات لتعرف منهن ما جرى ، وذهبت إلى ربيين وسحرة والعجيب أن الاجابة كانت موحدة تقريبًا ، وهي أن العائلة كلها قتلت ما عدا ابنهم فقط مازال حيًا وصار مسلمًا ولا يدري بأنه أصلا يهودي .

الذي تأكدنا منه أن عائلة عمي قتلت غير أننا لم نر أجسامهم ، وقد علمنا مؤخرًا أن القذافي عندما علم بالأمر بعد قيام الثورة بدأ تحقيقًا حول الموضوع مع الضابط القريتلي ، وأنه تم الحكم عليه في محكمة عسكرية ، وهناك رواية أخرى تقول إن القذافي وضعه في السجن ومات في السجن .

في عام ١٩٩٣ التقى رفائيل فلاح معمر القذافي في طرابلس ، وأذكر أن فلاح هاتفني من طرابلس وفاجأني بذلك ، وأبلغني أن هناك سرًا يريد أن يبوح

مجموعة صور أخرى لعائلة عم رفائيل التي قتلت في طرابلس

ידיעות אחרונות

מאת נח קליגר

13 נפשות אבודות

שתי משפחות יהודיות נעלמו בלוב לאחר מלחמת ששת הימים — וקבורתיהן לא נודעו

صورة من قصة مقتل عائلة شالوم لوزون

في صحيفة ايديعوت احرونوت الاسرائيلية

لي به وهو أن القذافي طلب منه أن يبلغني أنا وعائلتي بأنه عرف بقصة مقتل عمي وعائلته وأنه (أي القذافي) أخذ القريتلي وحاكمه ، وأن القذافي وعد بأنه إذا فتح يومًا ملف التعويضات فإنه سوف يبدأ أولاً بتعويض عائلة لوزون بسبب ما وقع عليهم من قتل ونهب واغتصاب .

فلاح التقى القذافي ثلاث مرات واغتنم الفرصة ليسأل عن المكان الذي دفنت فيه العائلة ، وعرفوا أن المكان هو خلف مقبرة اليهود وقرب مصنع الاسمنت ؛ هذه المعلومات ليست موثقة ولكنها رسمية ؛ وبعد ذلك علمت أنا شخصيًا من شخصيات قريبة من القذافي وسألوني عن بعض التفاصيل ، وأكدوا لي الأمر وعرضوا عليّ أنهم سيقيمون جنازة بالجيش والشرطة في ليبيا من باب تقديم الخدمة لنا ، لهذا أنا أعتقد أنهم فعلاً يعرفون المكان بالضبط ؛ أما العائلة الأخرى فقد تكلم عنها شخص من أقاربها في لوس أنجلوس ، وقال إن هاتين العائلتين تم قتل أفرادهما بدم بارد ، كما قتل يهود آخرون في أيام المظاهرات في طرابلس . لذلك أنا أتمنى أن يتم فتح التحقيق في القضية من جديد لكي نعرف القصة وماحدث ، كما أتمنى أن نجد طريقة ما لنتأكد إن كان هناك منهم من لا يزال على قيد الحياة .

نحن نعتقد أن البحث في هذه المشكلة وحلها هو من مسؤولية الدولة الليبية ، على الرغم من أن الجريمة وقعت في العهد السابق ، وهذا بالنسبة لنا يعتبر امتحانًا للدولة الليبية لكي تترجم حقيقةً أنها دولة تسعى وراء الانفتاح وحل جميع المشاكل الراهنة ، وهذه المشكلة يجب أن تتعامل معها الدولة وأن تحلها بطريقة نتأكد من خلالها أنها تسعى إلى أن تكون فيها شفافية وحقوق إنسان وأمان ، ونحن نعتبر أن حل أية مشكلة تتعلق باليهود الليبيين لا يمكن أن يكون مقبولاً مالم تحل هذا المشكلة أولاً» .

ثم انتقلنا إلى روما

ويستمر رفائيل : «بداية ، للمقارنة ، أذكر أن بنغازي الستينات كانت حقل نقاء ونظافة ولم تكن هناك مشاكل اجتماعية كبيرة ، وكان الناس والمجتمع كتابًا مفتوحًا وفيه شفافية ، وكان المجتمع جميلاً متعاونًا متقاربًا مترابطًا ، يثق الناس فيه بعضهم ببعض ويعيشون في أمان ؛ ولكن في المقابل عندما كنا في بنغازي لم نُعِدّ أنفسنا لحياة صعبة ومجتمع معقد وفيه مشاكل كبيرة ، هذا ربما كان عيبًا ، ولكن في الحقيقة لم يخطر ببالنا أننا سنخرج من مجتمعنا ويتم اقتلاعنا منه فجأة وعنوة لنجد أنفسنا في روما .

في روما اكتشفت أن ذلك العالم الجميل في بنغازي قد اختفى ، وأننا تحولنا إلى عالم آخر ، لذلك عندما كنت في الطائرة وهي تتجه بنا إلى روما ، كنت أفكر هل سأجد مجتمعًا مثل مجتمعنا الذي كنا فيه ، ولكن بمجرد أن

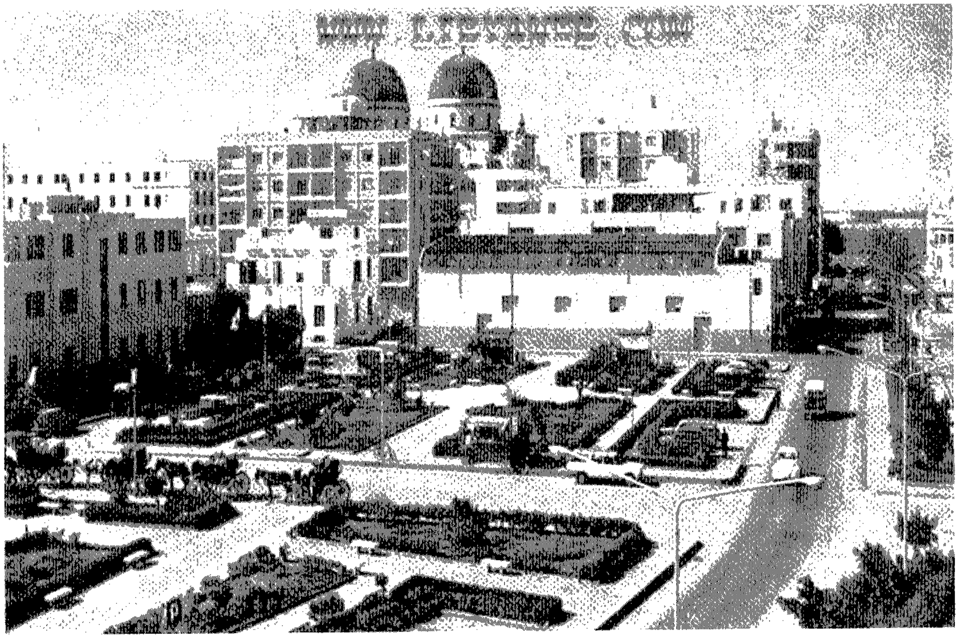

مدينة بنغازي

وطئت بقدمي مطار روما عرفت أن الإجابة على تساؤلاتي كانت بالنفي ، وعرفت أن المجتمع الذي عشت فيه قد اختفى ، وأنني داخل حياة أخرى غريبة عني ومختلفة تمامًا .

عرفت تلك الإجابة عندما رأيت أمامي الضجيج والشراسة والوجوه الغريبة في طريقة تعبيرها وفي التصرفات التي لم أتعود عليها ؛ في تلك اللحظات انتابني شعور غريب وهو أنني لن أعود قريبًا إلى بنغازي ، ولهذا تجد يهود ليبيا سواء من بنغازي أو من طرابلس إذا التقوا يتحدثون عن ليبيا وعن ذكرياتهم فيها وعن حبهم إياها ؛ وبقي هذا الحال حتى يومنا هذا بعد أربعين سنة ، بل إن الجيل الثاني وربما الثالث ممن ولدوا خارج ليبيا يحنون إلى ليبيا فقط من أحاديث الكبار عنها ؛ لذلك عندما سكنا في روما تجمعنا كيهود ليبيين في منطقة واحدة ، وذلك أننا بسبب هذا الانتقال المفاجئ لم نستطع أن نندمج في مجتمع غريب مختلف فيه الحداثة والمدنية والتقدم الذي لم نتعود عليه في ليبيا .

في إيطاليا كانت المرة الأولى التي أرى فيها التلفزيون والإشارات الضوئية والطرق الحديثة والمباني المختلفة وغيرها ، إنه مجتمع متطور يتطلب أن نتدرب على التعامل مع مفرداته وحياته ؛ شعوري كان ممزوجًا بين سعادة بحياة متطورة سأتعلم فيها أشياء لم أكن لأتعلمها في ليبيا ، كذلك هو مجتمع فيه قوانين تمنع العنصرية ولا يمكن أن يتعرض لنا فيه إنسان ويهيننا لأننا يهود أو عرب ، ولكن في المقابل شعرت بالتعب بسبب اختلاف عقليتنا وعقلية الناس في إيطاليا ، فكان تفاهمنا معهم وتفاهمهم معنا صعبًا ليس بسبب اللغة ، فقد كنا نتكلم اللغة بطلاقة ولكن كان بسبب العقلية المختلفة ، لذلك كنا كصبيان نشعر بازدواجية ، ففي البيت نحن أبناء عائلات ليبية ، وخارج البيت نتعامل بطريقة إيطالية تناغمًا مع المجتمع .

في العامين الأولين أذكر أنني كنت في غاية الضيق ، ثم بعد ذلك تعودت

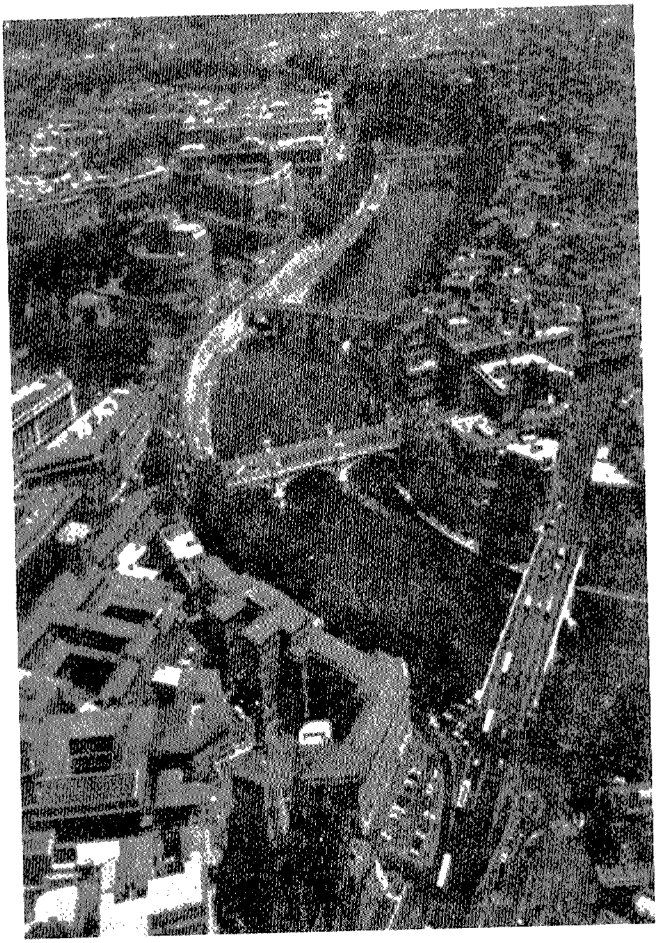

روما

على الحياة الجديدة وألفتها ، وكان والدي وأمي حريصين على تذكيرنا بأننا يجب أن نحافظ على أخلاقنا ، ثم إن طريقة تعلمنا في ليبيا في المدرسة الإيطالية بقيت في نفوسنا فكنا نستطيع التمييز وفهم ما ينفعنا وما لا ينفعنا ، هذا إلى جانب أن والدي وأمي كانا يوجهاننا باستمرار حتى لا ننحرف ، غير أن عامل الثقة موجود دائمًا بيننا ، ثم إنني كنت متدينًا من قبل أن أذهب إلى إيطاليا وحتى بعد أن عشت فيها .

أما والدي فقد تعب نفسيًا بسبب أنه وجد نفسه يعيش في مجتمع مختلف وبظروف مختلفة ، فقد كان في بنغازي غنيا ، كما ذكرت ، ومرتاحًا في وطنه ثم تحول حاله إلى هذا الشكل في عالم جديد عليه ، لهذا لم يعمل أي عمل آخر في إيطاليا لأنه لم يتعود أن يكون موظفًا ، كما أنه تصرف في المبلغ الذي أخذه من الحاج عياد بالروين ، وقد كفانا هذا المبلغ مدة ٥ إلى ٦ سنوات .

هذه الأمور جعلت أبي يصاب بأمراض مختلفة منها الفشل الكلوي والكآبة وغيرهما ، وكانت أمي تحثه على العمل وعلى الاندماج في الحياة الجديدة وعلى أن ينسى ليبيا ، ولكنه لم يستطع وبقي في اكتئاب ؛ غير أنه اقتنع قبل وفاته بسنوات بأن يعمل ، فعمل محاسبًا في مكتب واشتغل مدة ٤ سنوات وبعدها دخل في غسيل الكلى وتوفي عام ١٩٩٤ .

إلى جانب هذا نحن أيضًا تعبنا نفسيًا كما حدث لوالدي لأن الصدمة كانت كبيرة علينا جميعًا ، خصوصًا أننا كنا نرى أبي ، ذلك الرجل الذي كان معززًا مكرمًا في بلاده ، يأمر من لديه من خدم ويعيش باحترام ، صرنا نراه يقف في طوابير اللاجئين من أجل الحصول على فنجان شربة لم يفكر يومًا واحدًا أو ساعة في أن يعيره أدنى اهتمام ، لأنها شربة يحوم حولها الذباب وتختلف على فنجانها الأيدي ، ويقف أيضًا في الطابور للحصول على بطاقة الطعام ليحصل بها على مؤونة البيت بعد أن كانت مخازنه مملوءة بالخيرات .

هذا التحول العجيب أثر سلبًا علينا ، فمثلاً أنا وأختاي بعد أن كنا نعيش في نعيم في ليبيا ونسافر كل سنة في سياحة إلى روما أو سويسرا أو طرابلس وغيرها ، وجدنا أنفسنا في هذا البلد لاجئين بعد أن كنا نأتيه سياحة . والأمر الذي زاد الحال تعقيدًا هو سماع خبر مقتل عمي وعائلته في طرابلس ، خصوصًا على أبي الذي لم يكن أخاه فقط بل كان أيضًا شريكه في أعماله .

أما حالة أمي النفسية فقد كانت سيئة كذلك بسبب ما كانت تراه أمامها ،

ولكن على الرغم من كل هذا لم أسمعها تقول يومًا كلامًا سيئًا عن ليبيا . في الحقيقة كنا جميعًا لا نذكر ليبيا إلا بالخير ، وكنا نعرف بأن الذي حدث لنا هو أعمال شغب قام بها أناس لا يمكن أن يمثلوا الشعب الليبي الطيب الكريم الذي عشنا معه وعاشرناه ؛ أما عن أملاك والدي فقد كان رأي أمي أن هذه الأملاك سيأتي يوم وتعود إلينا لأن الحق لا يضيع مهما طال عليه الزمن .

لكن أمي بسبب جلوسها في البيت كانت تعاني نفسيًا لأنها تتذكر بيتها الذي تركته في بنغازي وتتذكر أثاثها وكل ركن فيه ، وكان شديدًا عليها أن تترك ذلك الخير كله لتعيش حياة بائسة في بيت لم تختره وبلد لم تختره ؛ كما أنها تتذكر الفرق بين حياتها السابقة في ليبيا وهي تأمر الخدم وتشرف عليهم في ترتيب البيت ، وبين حياتها التي صارت إليها وهي وحيدة مع زجل أصابته الصدمة فحولته إلى إنسان عاطل عن العمل وجالس في البيت ، بعد أن كان معروفا بحيويته ونشاطه .

أنا وأختاي تعبنا كثيرًا من هذا لأننا كنا في كل يوم نعود إلى البيت من المدرسة نجد أمنا وأبانا اللذين كانا نشيطين بحيويتهما ، يتحولان إلى إنسانين يجلسان في البيت يغطيهما الحزن والألم والحسرة . بقينا هكذا حتى كبرنا وبلغنا سن تحمل المسؤولية ، وذلك عندما أنهيت أنا وأختي الدراسة وبدأنا نعمل لنساعد في مصروف البيت ؛ كنت أعمل وأدرس في الجامعة ، عملت بائعًا في محل تجاري ليهودي من طرابلس مدة شهرين أو ثلاثة ودفع لي مقابل شهر واحد فقط ، وبعد ذلك عملت في محل كبير للملابس وبقيت فيه حتى صرت مديرًا للمحل ، وكنت أتلقى من عملي هذا مرتبًا ساعدت به في مصروف البيت ، أما أختي فقد عملت سكرتيرة في محل ملابس ليهودي .

في عام ١٩٧٧ أكملت دراستي الجامعية في مجال العلوم السياسية ، وكان اهتمامي في بحث التخرج بموضوع أسباب الحرب العالمية الثانية وأصولها ؛ ثم

عملت بعد ذلك في مكتب للعلاقات العامة ، وكذلك انشغلت بالاهتمامات السياسية وكنت أكتب في صحف يهودية إيطالية بلا مقابل وصحف إسرائيلية ، وكنت أكتب باللغتين الإيطالية والعبرية .

المشكلة الأخرى أننا في أثناء وجودنا في المدرسة في إيطاليا كان بعضهم ينظر إلينا على أننا مواطنون من الدرجة الثانية ، وكنت عندما أقارن هذا بحياتنا في ليبيا أرى الفرق واضحًا على الرغم من كل شيء ، فمثلاً أذكر في ليبيا عندما تكون ليلة المولد النبوي عند المسلمين كان الأطفال يخرجون ويغنون (ليلتنا ليلة ميلود - حرفة سودة عاليهود) ، وكنا نرد عليهم برش الماء عليهم وكانوا يردون علينا ، ولكن على الرغم من كل هذا كنا نتعامل مع الأمر على أنه لعب أطفال ولم نكن نشعر بأننا مواطنون من الدرجة الثانية ، وكنا في ليبيا نفخر بكوننا ليبيين ، وكان أبي يفخر بذلك ويعتز بجواز سفره الليبي ؛ أما في إيطاليا فقد شعرنا بغربتنا على الرغم من احترام حقوق الإنسان وعلى الرغم من التقدم الحضاري والمدنية .

من ناحية أخرى ، إذا قارنا ليبيا بالدول العربية نجد أن اليهودي الليبي كان يمكنه أن يحمل جواز سفر ليبيًا مثل أي جواز سفر ليبي ، لا فرق على الإطلاق ، بينما في الدول العربية الأخرى يكون جواز السفر لليهودي مكتوبًا عليه (موسوي) يعني من أتباع موسى .

في ليبيا أذكر أن اليهود الليبيين كانوا يستقبلون تهاني في المناسبات الدينية ، بما فيها الأعياد الإسلامية ، وكان الملك يستقبل اليهود ، وأذكر أن والدي قال لي إنه رأى الملك مرتين ، وأذكر أن العلاقة مع العائلة المالكة كانت ممتازة ، حتى إنهم كانوا يشترون أدوية من والدي وكذلك بعض الشخصيات الكبيرة في الدولة في ذلك الوقت ، مثل عوض عبد الجواد الذي كان رئيس الأمن في ليبيا ، وكذلك بوقويطين رئيس الشرطة .

إذن الفرق بين حياتنا في ليبيا وحياتنا في روما كان كبيرًا ، لهذا ركز أبي علاقاته مع الليبيين الموجودين في روما بشكل أساسي وقليلاً مع الطليان ، ذلك أنه لم يستطع أن يبني مع الطليان علاقات بسهولة لأنه كان يتعامل معهم بطريقة ليبية ، وقد كانوا يسخرون من طريقة أبي تلك في التعامل ، مثلاً أذكر أنه إذا أراد أن يشتري شيئًا من السوق أو من محل ما ، كان يمازح التجار ويناقشهم في السعر ، فكانوا يتعجبون منه ويقولون له إنه لا يمكنه أن يناقش في الأسعار لأنها مكتوبة على السلع وموثقة ، لذلك كانوا يسألونه عن أصله ومن أين أتى ، وهو لم يكن يناقشهم بسبب أنه يجد السلع غالية ، ولكن لأنه تعود في ليبيا أن الناس يناقشون في السعر ويمزحون في أثناء ذلك ، وتلك هي العقلية التي يحملها من ليبيا والخلفية التي جاء بها ، كذلك كان يحكي نكتًا بالطريقة الليبية عن جحا وغير ذلك فلم يكن الطليان يفهمونه ولا يضحكون ، بل كانوا يتعجبون منه ومن نكته تلك ، على الرغم من أنه كان يتحدث معهم بالايطالية بطلاقة ولكن كانت الروح ليبية والثقافة ليبية كذلك .

هذا كله أيضًا أتعب أبي نفسيًا لأنه حرم من حياته ومجتمعه وبلده ليجد نفسه في هذا العالم الذي لم يفهمه ولم ينسجم معه ، فعلى الرغم من كل ماحدث في عام ١٩٦٧ بقي أبي يحب الليبيين ، فكان إذا سمع بشخص ليبي قادم من ليبيا يذهب إليه ويدعوه إلى البيت ويسأله عن ليبيا وعن أحوال أهلها ، ولم يكن يحمل في نفسه أية كراهية أو ضغينة ضد أي ليبي . هكذا كان الصراع بين العقلية الليبية التي جئنا بها نحملها معنا وبين العقلية الإيطالية التي دخلنا عليها .

عندما دخلنا المدرسة في إيطاليا كانت مدرسة يهودية إيطالية خاصة ، ولم نكن نستطيع أن ندفع رسوم الدراسة ، فقبلوا من أبي أن يقوم لهم بأعمال إدارية في البيت تطوعًا مقابل دراستنا وعوضًا عن دفع الرسوم المطلوبة .

على كل حال ، مسألة الغربة شعرنا بها نحن الصغار أيضًا ، فقد كان بعض أطفال اليهود وصبيانهم من الطليان يعيروننا بأننا أتيناهم من غابة ولم نأتهم من مجتمع مدني ، وأذكر أنهم كانوا يسمونني (غوريلا) لأنني أتيت من أفريقيا وغاباتها حسب زعمهم ، ولكن مع الوقت صرنا نعتاد الأمر وصارت لنا علاقات جديدة في المجتمع الجديد ثم تعايشنا معه ، ومع الوقت صرنا نتناسى ليبيا والعودة إليها ؛ بقينا هكذا حتى تخرجت من الجامعة ، بعدها ظهر أمامي اسم رفائيل فلاح الذي رتب لأول مؤتمر ليهود ليبيا وشاركت فيه معه ، ومنذ ذلك الوقت عادت ذكريات ليبيا وعادت مسؤولية العمل على الملف الليبي ، ثقافيًا واجتماعيًا وحقوقيًا» .

النشاط الثقافي والاجتماعي في إيطاليا

يواصل رفائيل : «في العامين الأولين بعد الوصول إلى إيطاليا لم يكن هناك أي نشاط ثقافي أو اجتماعي ليبي ، وذلك لأن العمل كان مركزًا على كيفية إيجاد الاستقرار والتعود على الوضع الجديد والتأقلم معه ، وكان هناك من يفكر في العودة إلى ليبيا إن أمكن ذلك ، وهناك من فكر في الذهاب إلى إسرائيل ، كما أن التفكير في إيجاد السكن المناسب ووسيلة العيش المناسبة هي الهم الأول لكل يهودي ليبي في ذلك الوقت .

كان اليهود الليبيون يلتقون كل ليلة تقريبًا في ميدان في روما ، وكان الايطاليون لا يحبون ذلك ، وكانت أعدادنا كبيرة ، وكانت تلك اللقاءات هي محطة الأخبار والمعلومات ، وكانت هناك في ذلك الميدان مجموعة من المقاهي ، وهناك حديقة كنا ننتشر فيها ونجلس في المقاهي نتحدث ونسأل ونتشاور في أمورنا كلها .

بالنسبة لي وأنا في سن ١٤ سنة و١٥ سنة كان الجو جديدا عليّ وكان

محطة مهمة لي من الناحية الثقافية والاجتماعية ، فهناك التقيت يهود طرابلس بشكل أقرب وبدأت أتعرف إلى عالم إيطاليا الجديد ؛ وقد ذكرت في البداية شعوري وأنا أبدأ حياة جديدة في عالم جديد ، وبعد أن كنت أسمع القرآن من المسجد والأذان صرت أسمع أصوات أجراس الكنائس في مجتمع مختلف .

ولكن بعد عام ١٩٧٠ بدأ اليهود الليبيون يرتبون أمورهم وينظمونها ، وتحرك من كانوا في سن الأربعينات مثل رفائيل فلاح وقرروا تنظيم أنفسهم في شكل جمعية أو منظمة ليهود ليبيا بدلاً من التحرك الفردي المتعب ، وبذلك تم تأسيس منظمة يهود ليبيا وسميت (لجنة دعم يهود ليبيا) وبدأت اللجنة بإعداد نماذج بالتعاون مع وزارة المالية الايطالية لمعرفة أملاك الناس ، ولكي يستطيع كل شخص أن يذكر في النموذج كل ما تركه في ليبيا من أموال وأملاك .

هذه المنظمة ساعدت الوزارة في جمع المعلومات ومعرفة الأملاك والأشخاص وكل شيء ، خصوصًا أنه كان هناك أناس لا يعرفون القراءة والكتابة .

بعد ذلك قامت اللجنة بإقامة مجموعة من المناشط لكي يرى المجتمع الإيطالي ثقافتنا الليبية ، وكي لا نتهم مرة أخرى بالتخلف أو الجهل أو بأننا كنا نعيش في غابات ، وكانت تلك المناشط هي مناشط اجتماعية كالزواج ومناشط ثقافية في مؤتمرات وندوات ، وكان هذا كله بدافع التعريف بيهود ليبيا والثقافة الليبية .

وبدأت اللجنة في عقد مؤتمر سنوي وكنا ندعو له اليهود الآخرين من الطليان وكذلك المسيحيين ؛ واستمر هذا لمدة ١٠ سنوات تقريبًا أو يزيد ، بعد ذلك بدأ الانشقاق عن تلك اللجنة ، فقال بعض اليهود إنهم لا يريدون أن يكونوا مع رفائيل فلاح ، فذهبوا وأسسوا منظمة جديدة ، وتعددت المنظمات ، منها الدينية ومنها العلمانية ومنها اليسارية ، ومنها منظمة قررت أن تتخذ

خطوات قانونية ضد ليبيا للحصول على التعويضات ؛ وهناك منظمة أخرى وهي دينية قررت نسيان موضوع التعويضات وقررت التركيز على العبادة والدين فقط ، وهؤلاء اشتروا سينما وحولوها إلى مكان للعبادة ، وقد كان هناك أربعة أماكن عبادة خاصة باليهود الليبيين .

اليهود الطليان قبل هجرة اليهود الليبيين كانوا ١٥ ألف يهودي في روما ثم جئنا وعددنا ٥٠٠٠ يهودي ، وبحضورنا كثر العدد جدًا وهكذا كثرت المحلات التجارية اليهودية ومحلات الجزارة التي كانت تبيع (الكوشر) ، فقد كان هناك محل (كوشر) واحد في روما قبل مجيئنا وكان صاحب المحل صعبًا جدًا ، وبمجيئنا فتحت محلات جزارة (كوشر) جديدة ، ففرح اليهود الطليان لأن التنافس أنقذهم ووفر لهم ما يريدون بطرق أسهل وأيسر وأرخص .

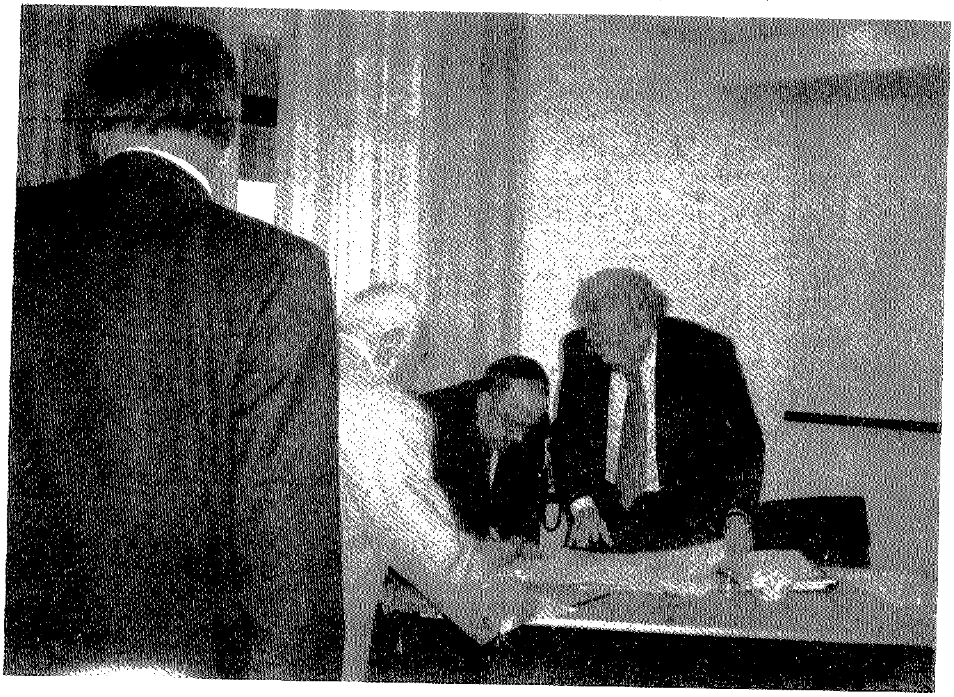

رفائيل لوزون أثناء التوقيع على تسلم منصب نائب رئيس جمعية يهود ليبيا في حضور مجموعة من المحامين في روما

ثم اكتشفنا أن اليهود الطليان كانوا يرتبون أنفسهم دائمًا حتى بخصوص الانتخابات ، فقرر اليهود الليبيون أن يفعلوا مثلهم حتى لا يقال عنا إننا متخلفون أو لا نفهم في المدنية والديمقراطية ، وهكذا بدأنا نشترك في الحياة المدنية والاجتماعية والثقافية والسياسية في روما ، ومع مطالع الثمانينات صار اليهود الليبيون متكاملين مع المجتمع الايطالي ، ومشاركين في الحياة بتصاريفها جنبًا إلى جنب مع اليهود الطليان والمجتمع الايطالي .

الشيء الوحيد الذي بقينا متمسكين به هو موقفنا حيال الجنسية ، فمن الطبيعي أن أي مهاجر من حقه الحصول على الجنسية بعد خمس سنوات ، وكنا نريد من الايطاليين أن يعتبرونا من الدول التي كانت من مستعمرات إيطاليا ، لكنهم كانوا فقط يعرضون علينا الجنسية بسبب مرور خمس سنوات كأي مهاجرين آخرين ؛ كنا نحن نرفض هذا النوع من الجنسية لأننا نريد أن يعتبرونا من دولة كانت من مستعمرات إيطاليا لكي نحصل على التعويضات عن طريق إيطاليا ، ويكون بإمكاننا أن نطلب من إيطاليا أن تتحرك نيابة عنا في هذا الموضوع مع ليبيا .

الذي تحرك في هذا الاتجاه كان هو رفائيل فلاح مع رئيس الوزراء اندروتي ، وفي عام ١٩٨٧ تحصلت على الجنسية وذلك بعد عشرين عامًا من هجرتنا إلى إيطاليا ، ولكنها كانت جنسية بسبب الهجرة ولم تكن بسبب أننا من إحدى المستعمرات السابقة ؛ والذي أجبرنا على قبول هذه الجنسية هو أننا احتجنا أن يستقر وضعنا ونستطيع السفر والعمل وغير ذلك .

على كل حال نحن حاولنا أن نحصل على الجنسية مع الإبقاء على كوننا ليبيين ولكن لم نستطع ، وكما ذكرت ، فإن اليهود الذين ذهبوا إلى إسرائيل وكانوا ألفي شخص تقريبًا إنما ذهبوا بسبب أنهم لا يجدون بديلاً آخر أو هكذا شعروا ، فقرروا أن يذهبوا إلى بلد يتحصلون فيه على الجنسية بمجرد وصولهم .

هذا كله يدل على تمسكنا بكوننا ليبيين ، ومع هذا كان هناك يهود بدأوا الحركة الصهيونية في ليبيا ، ولكنهم ركزوا في الغالب على الجوانب الثقافية وهؤلاء سافروا إلى إسرائيل .

أنا عندما كنت في إيطاليا انضممت إلى الحركة الصهيونية ولكنني ركزت فقط على النواحي الثقافية والحوار ، وكانت نشاطاتي كلها حوارية وثقافية واجتماعية ، ولم أكن سياسيًا في ذلك ، ثم بعد ذلك تركت الحركة الصهيونية لأنني وجدت بعض الناس يعتبرون أي شيء تفعله إسرائيل هو حق مطلق ، وأنا كنت إنسانًا حواريًا أقول رأيي وأقبل الرأي المخالف ، وأعتبر أن أي إنسان مهما كان يمكن أن يخطئ سواء أكان فردًا أم جماعة أم دولة ؛ كما أنني لم أكن أعتبر العرب أعداء ، وعدوي في تصوري هو الذي يريد قتلي فقط أما ماعداه فلا يمكن أن يكون عدوًا لي ؛ زد على ذلك أنني على علاقة وطيدة ببعض اليهود الذين يعتبرون أنفسهم ضد الصهيونية ، بل أفتخر بهم لأنني أحب أن أرى يهودًا مستقلين في تفكيرهم ولهم آراؤهم وحريتهم ، وهذا هو منهجي . أنا أيضًا ضد أن تكون إسرائيل متعلقة دائمًا بأمريكا لأن إسرائيل تقع في الشرق الأوسط وأمريكا تقع في أقصى غرب العالم ، فما علاقة هذا بذاك . كذلك أنا أحترم بعض المفكرين من اليهود أمثال نعوم تشومسكي صاحب الآراء المعتدلة وله مواقف سياسية ضد السياسة الأمريكية ، كما أحترم المفكر الفرنسي برنارد هنري ليفي وهو ينتقد أشياء في الحركة الصهيونية وهو معروف جدًا .

في المقابل أنا لست ضد الصهيونية ولكنني أفخر بأن يكون هؤلاء الذين ذكرتهم من اليهود ، أنا مع الحرية في الرأي والمعتقد وفي الاختلاف ، ولهذا أنا حواري . زد على ذلك أنني أعتبر أن أكثر فترة عاش فيها اليهود والمسلمون في سلام في المنطقة هي فترة الحكم العثماني ، كما أن أكبر المفكرين اليهود برزوا في تلك الفترة ، من أمثال الحاخام بن ميمون (رمبم) وهي اختصار لـ(رباي

موشيه بن ميمون) وغيره .

بالنسبة لليهود الليبيين هناك أكثر من ٥٠ مفكرًا وكاتبًا ومثقفًا معروفًا منهم من في أمريكا ومنهم من في إسرائيل وأوروبا . ولدينا مفكر يساري يهودي ليبي في روما وهو رجل أكاديمي اسمه مغناجي ، وهو ينتقد أشياء في الحركة الصهيونية ، كذلك هناك شخص آخر متدين اسمه بحبوت ؛ كما أن ابن خالي جاك روماني كتب بحثًا عن السنوسية وهو موجود في أمريكا .

بالنسبة لنا نحن اليهود الليبيين نحب السلام ولسنا ضد أي عربي مهما كان على الرغم من كل ما وقع لنا ، وأنا أعتقد في الحقيقة أن العقلية الليبية بشكل عام هي عقلية تحب السلام ولا تميل إلى العنف وهي عقلية متسامحة . حتى الأجيال التي ولدت وعاشت في إسرائيل من الليبيين ولم يعرفوا ليبيا تجدهم يحنون إلى ليبيا ، وعندما يناقشهم بعض اليهود من جنسيات أخرى يقولون لهم إنهم ليبيون ويحبون أن يكونوا ليبيين مهما كان .

خذ مثلاً رفائيل فلاح الذي قتلوا والده في طرابلس في مظاهرات ١٩٤٥ ، أجرت معه صحيفة لقاء وسأله المحاور إن كان يحمل في نفسه حقدًا على العرب لأنهم ذبحوا أباه وطردوه هو من بلده بعد ذلك ، فرد عليه إنه لا يحقد عليهم ولا يكرههم بل يتمنى أن يعود ويعيش في ليبيا معهم ، فتعجب منه المحاور وقال له : كيف تدافع عن أناس قتلوا أباك : فرد أنه يعتبر أن الذي قتل أباه مجرمٌ ولكن هذا لا يعني أن الليبيين كلهم كذلك» .

أهم النشاطات التي أقيمت بالتعاون مع رفائيل فلاح

يقول رفائيل :

* قمنا بدعم مشروع تأليف كتاب عن يهود ليبيا ، وهو كتاب تاريخ ألفه مؤرخ إيطالي معروف اسمه رنزو دي فيليتشي ، وهو موجود باللغة العبرية واللغة

الايطالية واللغة الانجليزية .

* قمنا بعقد مؤتمر ثقافي يعرض الثقافة الليبية ويهود ليبيا ، وتم عقد مؤتمر في روما وآخر في أمريكا وآخر في إسرائيل .
* كما أعددنا ملفا في فيلم يتحدث عن اليهود في ليبيا ، وهو يبرز اليهود منذ القرن التاسع عشر ، وفيه توثيق تاريخي .
* في عام ١٩٩٣ رتب فلاح لموضوع الحجاج الذين توجهوا لزيارة القدس .
* تم بناء نصب تذكاري في روما وعليه أسماء اليهود الليبيين الذين قتلوا في هجوم ١٩٤٥ وهجوم ١٩٤٨ وهجوم ١٩٦٧ .

كان همنا وهدفنا العام من هذه النشاطات هو أن نورث للأجيال القادمة من أبنائنا ما يعرفهم بموطنهم الأصلي ، لكي يتعاملوا معه ولا ينسوه ولكي يحافظوا على ثقافتهم وموروثهم ، فوجود اليهود في ليبيا قديم جدًا وقد وجدت في بعض المطبوعات ما يبين أن اليهود كانوا موجودين في ليبيا من قبل الرومان» .

انتشار اليهود الليبيين في العالم وحضورهم الإعلامي والسياسي والثقافي وغيره

يستمر رفائيل : «أولا اليهود الذين خرجوا في عامي ١٩٤٨ و١٩٥٢ معظمهم ذهبوا إلى إسرائيل وقليل منهم موجودون في إيطاليا ، وهؤلاء عندما خرجوا من ليبيا كانوا فقط يبحثون عن إقامة آمنة لهم ولأسرهم ، ثم بعد استقرارهم لما يزيد على ١٠ سنوات ، بدأت حياتهم تتشكل إعلاميًا وسياسيًا وثقافيًا .

بعد أن استقرت مجموعة إسرائيل رتبوا مناطق زراعية على شكل قرى صغيرة خاصة باليهود الليبيين ، وهذه تسمى (موشاف) وتعني أن هؤلاء الناس يعيشون معا في منطقة واحدة ، وكل واحد منهم يملك قطعة أرض يعمل فيها

ويعيش فيها ، ويستفيد من إنتاجها ، وهذه المجموعة تستفيد بشكل جماعي من بعض الخدمات العامة الضرورية مثل المكتبة العامة وأماكن الرياضة والنوادي الاجتماعية وأماكن العبادة وغيرها ؛ وهذه المرافق ليست ملكًا لأحد وكذلك هي متاحة لكل إنسان في المجموعة . وهذه المناطق الزراعية غير محددة جغرافيًا في جزء معين من إسرائيل ، ولكنها منتشرة في أماكن مختلفة من إسرائيل .

وهناك آخرون تركزوا في مدن مثل ناتانيا شمال تل أبيب ، وأشكيلون جنوب تل أبيب وغيرهما من المدن الأخرى ؛ وهؤلاء تجمعوا في مجموعات حسب المناطق التي كانوا فيها في ليبيا ، فمثلاً يهود زليتن يتجمعون معا في منطقة معينة ، وكذلك يهود الخمس ويهود العمروص وهكذا .

منذ خمسين عامًا إلى يومنا هذا صار هناك متخصصون في مجالات مختلفة ، منها الإعلامية ومنها السياسية ومنها الاجتماعية ومنها المهنية ، مثل الطب والهندسة والقضاء والمحاماة والفن بمجالاته المختلفة .

فمثلاً في السياسة هناك أعضاء برلمان من أمثال الربي فريجا زوارص وخلفون وروبين ، الذي كان نائب وزير الأعمال في الثمانينات ، وموشي كحلون وهو نائب رئيس الكنيست الحالي .

وعلى المستوى الثقافي هناك أكاديميون منهم المشهور الدكتور موريس روماني ، وهو بروفيسور في التاريخ والعلوم السياسية ، وهو كاتب معروف كتب في تاريخ ليبيا واليهود العرب .

وكذلك رئيس البوليس الحالي وهو موشي كرّادي وهو من بنغازي ، وهناك أيضًا أطباء مشهورون عالميًا منهم البروفيسور زاكوت من بنغازي ، وبروفيسور بن رفائيل من طرابلس .

ومن المطربين هناك إيلي لوزون وشلوميت بوحنيك وغيرهما . وهناك أيضا لاعبو كرة قدم معروفون منهم دريكس ونمني .

أما الذين خرجو من ليبيا عام ١٩٦٧ فهؤلاء بقي أغلبهم خارج إسرائيل وبشكل خاص في إيطاليا ، في روما وليفورنو وفيرينسي . وهناك قليل في بريطانيا وقليل في أمريكا .

وهؤلاء منهم كتاب ومنهم أكاديميون وأطباء ومحامون ، وغيرهم . هناك منهم مثلاً رجل السلام المعروف الفنان هيربيرت باغاني ، وهو كان من دعاة الحوار والسلام منذ السبعينات ثم توفي بسبب مرض ألم به» .

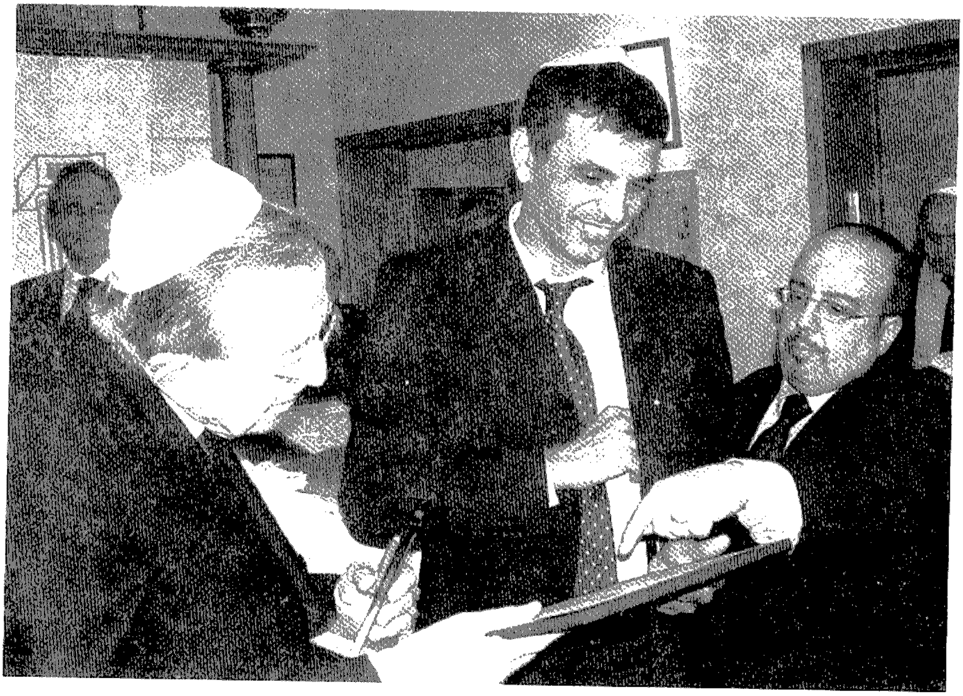

رفائيل لوزون في مؤتمر يهود ليبيا بروما عام ٢٠٠٣ ويبدو على اليسار جوليو اندريوتي رئيس وزراء إيطاليا الأسبق وبجانبه موشي كحلون اليهودي الليبي نائب رئيس الكينيست الاسرائيلي

صورة يبدو فيها رفائيل لوزون أثناء حضوره مؤتمر الأقباط بواشنطن عام ٢٠٠٥

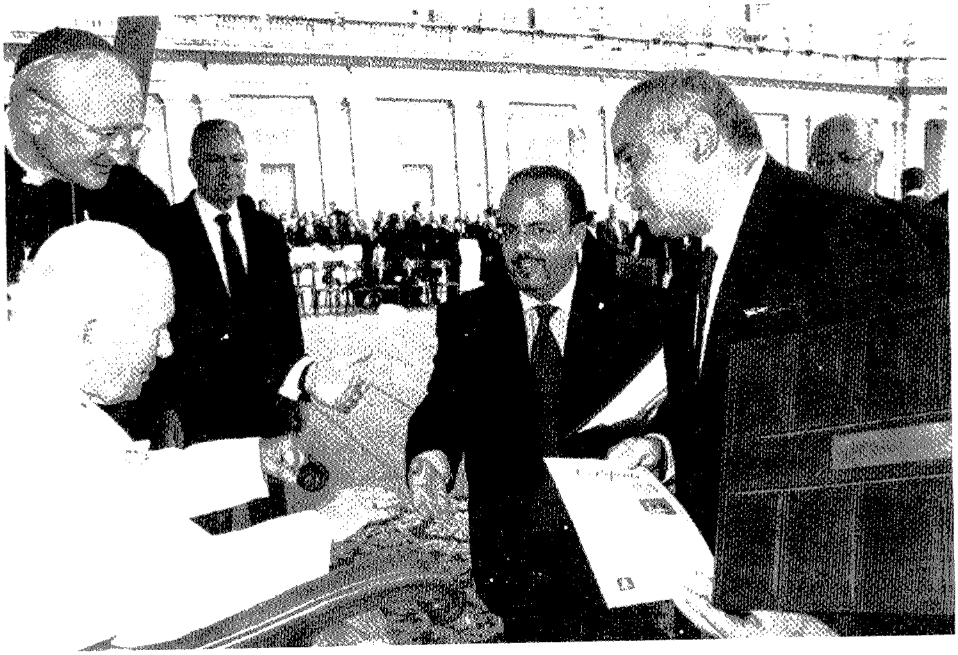

رفائيل لوزون يصافح بابا الفاتيكان السابق جون بول الثاني

المطبوعات الدورية من مجلات وصحف يهودية ليبية والكتب التي نشرت عن ليبيا والمواقع الالكترونية

يقول رفائيل :

«في النشاط الإعلامي الثقافي هناك عدد من المطبوعات اليهودية الليبية وهي كالآتي :

* هناك مجلة (عادة) وهي تصدر في إسرائيل وهي باللغتين العبرية والإيطالية ، وهي تأسست منذ عشر سنوات تقريبًا ؛ وهناك مجلة (يهود ليبيا) وهي باللغة العبرية وتصدر في إسرائيل .

* أما الكتب فهي كثيرة ، والمشهور منها الكتاب الذي ذكرناه آنفًا وهو كتاب (يهود في أرض عربية) ، وهو عن تاريخ اليهود الليبيين وألفه المؤرخ الإيطالي المعروف رنزو ديفيليتشي ؛ وهناك مؤلفات الدكتور روماني ألفها عن يهود ليبيا وعن اليهود العرب . وهناك كتاب الأكاديمي يعقوب حجاج (تاريخ يهود ليبيا) ، وكذلك هناك كتاب آخر تم تأليفه في الخمسينات ألفه كوهين (يهود ليبيا) ؛ وكذلك هناك كتيب صغير عن ثقافة يهود ليبيا اشترك في كتابة مقالاته مجموعة من الكتاب .

* أما المواقع الالكترونية فهناك منها مجموعة في إسرئيل ، ومجموعة في إيطاليا ، وواحد في بريطانيا ، ومجموعة في أمريكا ، وهي عبارة عن تسجيلات مكتوبة وصوتية ومرئية تعرض أفكارًا ونشاطات وغيرها .

لقطة من مؤتمر الأقباط بواشنطن وبجانبه محمد بويصير

لقطة من مؤتمر يهود ليبيا بروما تجمع قيادات الجالية اليهودية الليبية مع اندريوتي

رفائيل يلقي كلمة في مؤتمر يهود ليبيا ببريطانيا ويظهر

على يسار الصورة اللورد جانير عام ٢٠٠٣

قصة رفائيل فلاح

رفـائيل فـلاح من مـواليـد طرابلس عـام ١٩٣٥ ، في وقت بدايات الحـرب العـالميـة الثـانيـة ، من سـكان المدينة القـديمة بداية ، ثم طريق السـواني ، وبعـدها شارع عمر المختار .

يقول رفائيل فلاح : «أيام الحرب العالمية الثانية بقينا مع عرب في بيوتهم ، ولم يكن هناك أي نوع من الخوف ، بل كنا نعيش كـمجتـمع واحـد تملأه الثقـة المتبادلة .

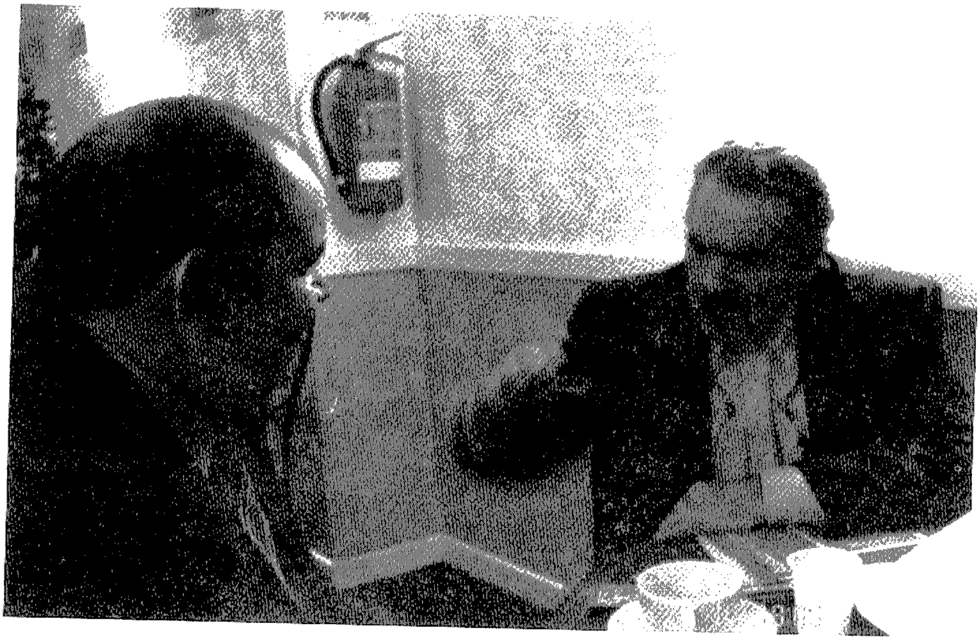

كان والدي معروفًا بقوة شخصيته ، وكان محبوبًا لدى العرب أيضًا . كان تاجرًا شجاعًا ويعمل في صناعة السروج واللباس العربي والحياكة وغيرها .

أذكر وأنا صغير كان العرب يأتون إليه لأنه يعمل معهم في الزيتون والزرع ، وكان يتعامل معهم بالدّيْن وكانوا يثقون فيه ، حتى إنهم كانوا عندما يردون الديون يقولون له (يا موسى عد الفلوس وطيّح من الحساب) أي يا موسى احسب هذا المال واخصم من الدّين ، وذلك من دون مراجعته فيه بسبب الثقة .

أسْمَوْنِي رفائيل لأن أمي كانت في حملها بي مريضة وضعيفة ، وولدتني أنا بعد وفاة مواليد من الذكور ، ثم إنني كنت الوحيد بين أخواتي البنات ، ورفائيل هو اسم ملك الخيرات ، ولذلك اختاروا لي هذا الاسم .

كان بيتنا في شارع عمر المختار ، قبالة مكتبة السرّاج ، وكان فوقها مقر البوليس الإيطالي ، ثم تحولت بعد ذلك إلى محطة البوليسية ثم إلى مركز حزب الاستقلال .

إذن أنا نشأت على تاريخ سياسي لأن كل شيء كان يحدث قبالة بيتنا ، حتى عندما مر تشرتشل منعوا الجيران من الإطلال من النوافذ ، ولكن أنا استطعت أن أطل بسرية وأنظر . وكذلك رأيت الجيش الألماني يمر عابرًا من الشارع أثناء الحرب .

أحداث نوفمبر (٤ – ٦) ١٩٤٥ كانت من أشد الأحداث سوادًا على يهود ليبيا ، وخصوصًا في طرابلس بالتحديد . إنها أحداث الهجوم على اليهود الذي كان ولا شك مرتبًا له من قبل الانجليز .

بدأت الأحداث بعد مباراة كرة قدم ، واستمرت لمدة ثلاثة أيام . بدأ الهجوم على اليهود في الشوارع ضربًا بالأيدي والعصي وغيرها .

في صباح اليوم التالي بدأ المتظاهرون يدخلون إلى البيوت والمحلات التجارية ويضربون بالحديد والآلات الحادة ، وكانت الأعداد بالمئات وسقط الجرحى .

منظران من مدينة طرابلس

اشتكى اليهود إلى نائب مسؤول القوات الإنجليزية في طرابلس ، لأن ليبيا كانت تحت قيادة الإنجليز في القاهرة ، ولكن لم تكن هناك فائدة من الشكوى .

في يوم الثلاثاء بدأ القتلى من اليهود يتساقطون ، وحسب علمي أن الذين هجموا لم يكونوا ممن نعرفهم ؛ لأن الذين عرفناهم وعاشرناهم في طرابلس كانوا محترمين .

من التبريرات التي أشاعوها أن اليهود قتلوا المفتي ، ولكن في الحقيقة كان المهاجمون يضربون بحرية ومن دون أن تتصدى لهم القوات الإنجليزية أو غيرها . وهذا يدل على أن الأمر كان مخططًا له من قبل الإنجليز . هذا الأمر لم يثبت بالمستندات ، بل ثبت بشهادتنا وشهود العيان .

في خلال ٧٣ ساعة قتل ١٥٠ يهوديًا ، وسقط ما يقرب من ٢٠٠٠ جريح .

يوم الأربعاء وهو اليوم الذي قتلوا فيه عددًا كبيرًا ، أذكر أن هناك من جاء ليخبر والدي أن المتظاهرين يحرقون المخازن في ميزران قرب عمارة الولاية وبنك روما ، وقرب جنان النوار بين شارع ميزران وشارع الوادي .

والدي تضايق مما سمع من هجوم على المخازن ، وكان معروفًا بجرأته وشجاعته ، فخرج وأمي ترجوه أن يأخذ حذره ، ولكنه خرج بسرعة ، وفي الطريق كان الناس من معارفه مستغربين خروجه هكذا ، وحاولوا منعه ولكنه لم يهتم ، ومن هؤلاء عائلة خربيش ، فقد خرجت زوجة علي خربيش لتمنعه من الذهاب خوفًا عليه ، خصوصًا أن أمي أرضعت ابنها بسبب أنها كانت مريضة ولم تستطع إرضاعه ، ولكن من دون فائدة . خرجت تلك المرأة تناديه (يا موسى يا موسى ما تمشيش) أي لا تذهب ، ولكنه لم يأبه لها وأصر على الخروج .

وعندما وصل أبي إلى المهاجمين وحاول منعهم ضربوه على رأسه بالحديد ثم طعنوه بالسكاكين كما علمنا ، ثم جاءنا خبر وفاته متأثرًا بجراحه .

يوم الأربعاء كان هو اليوم الثالث ، في نهاية ذلك اليوم تدخل الإنجليز لمنع

الهجومات . لم يتدخلوا إلا في نهاية اليوم الثالث ، على الرغم من أنهم كانوا يتفرجون على الأحداث منذ أول يوم .

ومن التأويلات التي سمعناها أن الإنجليز أرادوا أن يورطوا العرب في تلك الأحداث حتى يكونوا في حرج أمامهم وأمام العالم .

نجح الإنجليز في تلك الفتنة التي كانت من تدبيرهم واستطاعوا تحطيم الثقة بين العرب واليهود في ليبيا ، خصوصًا أن الإنجليز كانوا يعرفون جيدًا أن اليهود كانوا هم الوسطاء في إحلال نوع من التعايش بين الطليان والعرب أيام الاحتلال الإيطالي .

كما استغل الإنجليز الأميّة التي كانت منتشرة في البلاد ودبروا لعمليات الهجوم باستغلال العواطف» .

تحدث فلاح كثيرًا عن الأحداث السياسية ، من خروج الطليان وتحطيم الفاشي - نازية وعن معركة طبرق وغيرها من أحداث ، كما تحدث عن التراجع الإنجليزي وحزب العمال والمحافظين في ذلك الوقت .

لم يتحدث رفائيل فلاح كثيرًا عن موضوع خروجه من ليبيا عام ١٩٦٧ ، ربما لأنه لم يهتم كثيرًا بهذه التفاصيل بقدر اهتمامه بالمعاني التي كانت تحملها القصة الكاملة ، ويبدو لي أن همه الأكبر هو أنه يبحث عن وسيلة ، مهما كان نوعها ، لكي يصل إلى إقناع أمه (ليبيا كما يسميها) بأنه لن يتنازل عنها ولن يؤثر في انتمائه إليها أي إجراء قانوني ، سواء أكان حرمانًا من جنسية أم سواه .

في كل مرة تحدثت معه فيها ، سواء أكانت عبر الهاتف أم مقابلة شخصية ، عبر لي بين كل جملة وجملة عن ارتباطه الروحي بأمه التي ظلمه أبناؤها ، وعن إصراره على وصلها وبث شجونه إليها .

غير أنني أصررت أن يتحدث لي عن خروجه من ليبيا عام ١٩٦٧ ولو بصورة مختصرة ، وفيها تركيز على أهم العناوين ؛ فقال :

«طريقة خروجي من ليبيا كانت بمساعدة ، على الرغم من القرار بإغلاق كل شيء ، وعلى الرغم من المشاكل التي كانت تسيطر على كل شيء . قام المحامي محمد عزوز ووكيل وزارة الداخلية بمساعدتي وحصلت منهما على تأشيرة الخروج ، وغادرت البلاد» .

كلما حاولت مع فلاح أن أرسم طريق الحوار وجدته يأبى إلا أن يتحدث بطريقته هو ، وكأنه يصر على أن أوصل رسالة ما إلى جهة ما ، وعندما سألته عن ذلك أجابني إنه يريدني أن أترجم عنه المعاني التي يريدها لكي تصل ، كما يعبر هو ، إلى أمه وإلى زوج أمه ، فلم أجد لي وسيلة إلا أن أطلب منه الحديث معي وأنا أسجل كل كلمة يقولها .

حدثني عن قصة ذهابه إلى طرابلس في تسعينيات القرن الماضي ، ولقائه معمر القذافي ، شرح لي القصة بالأبعاد التي رآها هو وبالخلفيات التي بدت له ، وبالمعاني التي أصر على تفسيرها لكي تصل رسالة واضحة عن طريقي إلى «أمه وزوج أمه» وإلى أبناء أمه ، كما أصر في كل مرة أن يسميهم .

العجيب أنه بدأ حديثه عن الزيارة بقصته مع ياسر عرفات ، قال لي :

«قصتي مع ياسر عرفات لها علاقة وطيدة بالزيارة ، ذلك أنني وجدت الفرصة لتحقيق ما لم أستطع تحقيقه في ليبيا كي أحققه في فلسطين ، لأن عرفات كان في تونس أثناء اتفاق أوسلو وبعده ، في انتظار الذهاب إلى غزة ليتسلم الحكم .

التقيته وعبرت له عن حبي ورغبتي أن أشارك في البناء ، فوافق عرفات على تعييني مستشارًا في وزارة الصناعة ، وتم تأسيس شركة مشتركة (إيطالية - فلسطينية) للمباني في غزة .

أنا أعبر لك عن هذا ، كمفارقة أجدها في نفسي ، لأنني حزين ومصاب

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

بالإحباط من أمي ليبيا ، لأنني اكتشفت أن من كانوا قريبين من القذافي جرحوا شعوري ولم يقدروني أو يحترموا جهودي من أجل ليبيا (أمي) .

فأنا على الرغم من التجارب السيئة وأحداث قتل والدي عام ١٩٤٥ ، وعلى الرغم من الظلم الذي وقع علينا ، وعلى الرغم من النتائج والآثار النفسية والمعنوية والمادية التي سببها كل شيء ، هاأنذا كما أنا أعتبر نفسي مريضًا بحب أمي وأتحمل كل شيء .

أضف إلى ذلك أنني على يقين من أن الذي حدث لنا منذ الأربعينيات كان أساسًا بسبب الإنجليز ، تلك الأحداث التي أنتجت الانشقاق التاريخي في ليبيا ، أي منذ أن كان عمري عشر سنوات أصررت على التحدي ، فقد مارست الرياضة ، فلعبت كرة القدم وكرة السلة ، وقد كنت أصر دائمًا على أن أكون قائدًا ، وكنت أخطط جيدًا كي يقبلني الرفاق قائدًا لهم ، وكنت أعمل في كل

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

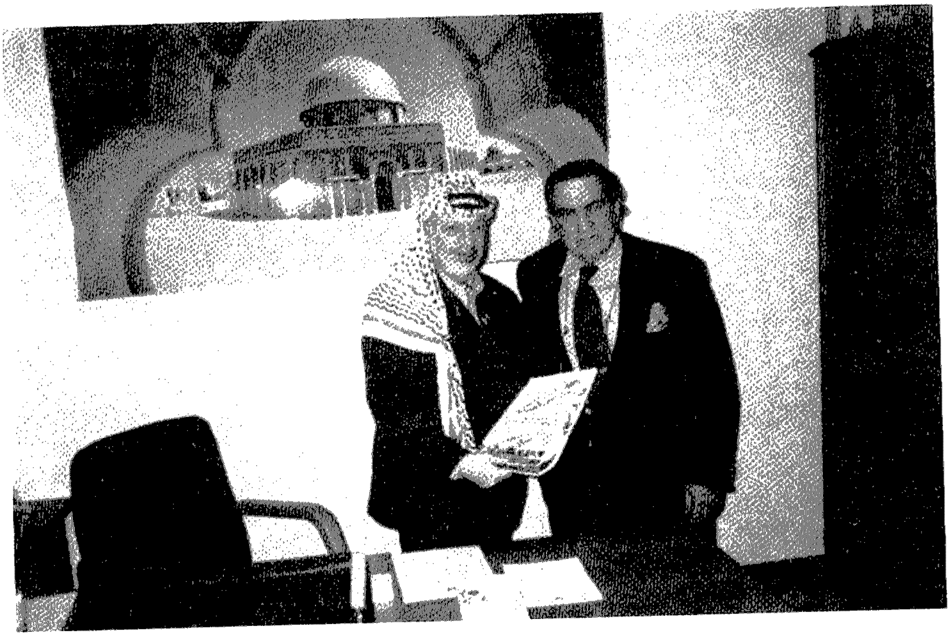

مرة على تأسيس فرق رياضية تجمع بين اليهودي والمسلم والمسيحي ، على الرغم من الصعوبات والظروف في ذلك الوقت» .

ثم قفز بي فلاح قفزة أخرى رآها مرتبطة بالتسلسل ، فقال :

«عندما تم اكتشاف البترول منذ عام ١٩٥٦ إلى الستينيات ، وبدأت ليبيا تخرج من دائرة الاعتماد على أمريكا في كل شيء حتى في دفع مرتبات الموظفين ، في ذلك الوقت حاولت تأسيس أعمال بالاشتراك مع ليبيين من غير اليهود ، على طريقة والدي .

من ذلك شراكتي مع الحاج محمد الشيباني في بناء ESSO ، وكذلك قمنا بتأثيث قصر الأمير في بنغازي ، وقمنا ببناء المساكن الشعبية في منطقة بوسليم بطرابلس .

ولن أنسى أن الحاج محمد الشيباني قام بحمايتي عام ١٩٦٧ ، ولكن

PALESTINE LIBERATION ORGANIZATION
Palestine National Authority
Office of the President

منظمة التحرير الفلسطينية
السلطة الوطنية الفلسطينية
مكتب الرئيس

قـــرار (   ) لسنة ١٩٩٧

إن رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية
رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية

بناءً على الصلاحيات المخولة له
وبناءً على مقتضيات المصلحة العامة

يقرر ما يلي:

١) يعيـــن السـ[illegible]ــيد/ ر[illegible]ــلال فـ[illegible]ــلاح مستشـ[illegible]ـاراً
في وزارة الصناعة لشؤون المنظمات الصناعية في الخارج

٢) يسري هذا القرار اعتباراً من تاريخه

صدر في: ٨/١/١٩٩٨م.

ياسر عرفات
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية
رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية

رسالة التعيين

صاحب الفضل الأكبر في ذلك كان السيد علي عبد الرحيم وعائلته ، وهو فلسطيني كان يقيم في ليبيا ، لأنه ضحى ونقلني إلى بيت الحاج الشيباني» .

ثم انتقل فلاح إلى الحديث باختصار عن إخراج الطليان ، وعن قانون تأميم وتعويض أموال اليهود لسنة ١٩٧٠ ، جاء ذلك بعد طرد الطليان ومن معهم من اليهود .

ثم تحدث عن تكوين جمعية يهود ليبيا في روما عام ١٩٧٠ لكي تقوم بمتابعة القانون المذكور ، وتحدث عن كون الجمعية خطوة أولى على طريق الحوار القانوني والدبلوماسي مع الليبيين .

وقال فلاح :

«ثم مرت فترة ركود من الجانب الليبي ، على الرغم من المحاولات المستمرة من قبلي والجمعية لكي يبقى التواصل ولكي لا تضيع خطوط الاتصال ، وبقي الحال كذلك إلى أن جاء موضوع لوكربي ، فتذكروا في ليبيا أن هناك إنسانًا ليبيًا يحب أمه ليبيا ويواصلها على الرغم من الجفاء ، تذكروا أن هذا الليبي هو رفائيل فلاح الذي لن يتوانى لحظة عن مد يده إلى أمه في محنتها من دون مقابل .

فاتصل بي السيد عمر المنتصر الذي أرسل لي رسالة تقول إن فلاح (وهو ابن البلاد) معين لكي يكون من أعضاء في لجنة لحل مشكلة لوكربي ، ثم التقيت بعدها السيد سليمان الشحومي الذي عبر بي من تونس إلى ليبيا برًا بسبب الحصار» .

في لحظة حديثه عن عبور الحدود ، عبر فلاح بعاطفته عن شعوره بالفرق بين الترابين التونسي والليبي ، وسمى تراب ليبيا بتراب أمه الذي جعله ينسى كل شيء سوى أنه ليبيٌ ، وجاء ليقف إلى جانب أمه التي تحتاجه في ظرفها هذا .

وهنا حدثني عن أسبابه هو التي جعلته يتجه إلى أم أخرجه أبناؤها منها بجراح لم تلتئم على الرغم من الزمن الذي مر . قال إنه لا ينسى صورة رفائيل

الذي مارس الرياضة في ليبيا أيام شبابه ، تذكر مسعود الزنتوتي الذي كان مشهورًا في عالم كرة القدم ، والذي كان رئيسًا للجنة الأولومبية ومسؤولاً عن منتخب الشباب ، قال إنه لا ينسى موقفه وهو يطلب من الزنتوتي أن يجعله لاعبًا في منتخب ليبيا للطلبة ، في موقف عاطفي وانفعالي . قال إن الزنتوتي كان يناديه بـ(فاييل) ، غير أن رد الزنتوتي كان بالرفض ، على الرغم من تأكيده أن فلاح كان يستحق ذلك ، ولكن الظروف كانت صعبة .

وذكر لي قصة مرض مسعود الزنتوتي بالسرطان وكيف قام بمساعدته لكي يتم علاجه في إيطاليا وكان وضعه خطيرًا ، فنقله إلى مستشفى سانكا ميللو ، وتحسنت حالته بعد شهرين تقريبًا وأوصله إلى مالطا لكي يعود إلى طرابلس عن الطريق البحر .

يقف فلاح عند لحظة تغير شكل التراب والفرق بينه وبين التراب التونسي ؛ ليعبر لي عن هواجس وعن أسباب كانت وراء هذه الزيارة .

استأنف حديثه :

«هذا كله كان محركًا أساسيًا لكي أذهب إلى أمي وألتحم معها ومع أهلي الذين عرفتهم في ليبيا ، لأن شعوري بأن أعمل لأمي وفيها لم يتركني لحظة واحدة منذ خروجي بتلك الطريقة .

في تلك المرة الأولى التي زرت فيها ليبيا قامت عائلة الزنتوتي باستقبالي ، وكان من بينهم محمد أخوه وهو ضابط كبير» .

ثم انتقل إلى الحديث عن لقائه معمر القذافي فقال :

«كان لقاء الضيف من الضيوف الآخرين معه يستغرق خمس دقائق لكل واحد منهم ، ولكنه عندما جاء دوري قال لهم : (خللوني مع ولد بلادي) أي دعوني وحدي مع ابن بلدي ، واستمرت الجلسة مدة ساعة ونصف» .

قبل أن يبدأ فلاح حديثه عن الزيارة واللقاء وأبعادهما طلب مني أن أكون

الناقل الأمين ، الذي ينقل كلامه الموجه إلى أم فلاح وزوج أمه ، كما عبر هو .

قال لي إنه لا ينسى تلك المقابلة التاريخية الأولى ، ولا ينسى روح اللقاء والظروف المحيطة والمعاني العميقة التي ارتبطت بذلك اللقاء . شدد كثيرًا على مسألة عدم النسيان ، وأنه يذكر كل لحظة من لحظات اللقاء وكل كلمة وكل حركة وسكنة كانت في ذلك اللقاء .

تلك هي المسألة الأولى التي ركز عليها واعتبرها من أساسيات اللقاء ، وكأنه يريد إشارة من طرف اللقاء الثاني (معمر القذافي) أن يذكر هو الآخر كل شيء يتعلق باللقاء ، وكأنه يعتبر ذلك اللقاء هو لقاء مباشر بأمه عن طريق زوجها ، كما يصر أن يسميهما .

النقطة الثانية التي ركز عليها هي قوله :

«أنا منذ طفولتي إلى يومنا هذا ، وعمري ٧٢ سنة ، وجدت نفسي قويًا ولم يتغير فيّ الصمود ومازلت أؤمن بالالتحام مع أمي وزوج أمي ، ذلك الالتحام الذي مازال موجودًا في نفسي بسبب حبي لأمي ، على الرغم من الإحباطات المتوالية ومحاولاتي الفاشلة في ليبيا وإيطاليا وفلسطين ، وعلى الرغم من التجارب التي لم تنجح وأحلامي منذ أيام شبابي وحتى الآن لم تتحقق ، وعلى الرغم من الانتكاسات المتوالية .

حبي لأمي مازال موجودًا وقويًا على الرغم من الإرهاق والتعب النفسي طوال مدة تجاوزت نصف القرن ، ذلك الحب الذي لم ولن يتزحزح ومازال في عنفوانه . ذلك اللقاء معها من خلال زوج أمي قوّى في روحي الأمل ، وأنا مازلت أنتظر بسمة رضىً من أمي على الرغم من غضبي ، خصوصًا في السنوات الأخيرة مع ازدياد الإحباطات ، عندما تبين لي أن هناك في ليبيا من يتاجرون بالكلام من غير المخلصين ، ومن الذين يروجون لأمي ولزوجها أهمية إبعادي عنهما ، لأن هؤلاء السماسرة لا يحبون المخلصين الأغبياء مثلي الذين لا

يكفون عن الأحلام وعن قرب تحققها» .

وفي النقطة الثالثة قال فلاح :

«أذكر جيدًا ذلك الجو الذي كان يعم المقابلة التاريخية ، فقد شدني زوج أمي وأسرني بتواضعه وسهولته في التعامل وذكائه الواضح ، شعرت كأنني أعرفه منذ أيام الشباب ، ذلك الجو جعلني حقيقة أشعر بالارتياح ، وصفاته تلك جعلتني أشعر بالرضا .

هذا لم يكن بسبب مصلحة شخصية ذهبت من أجلها ، ولم أكن أطلب من أمي شيئًا ، بل ذهبت بروح العطاء في وقت كانت أمي في حاجة إليّ ، وكان لسان حالي ينادي أمي وزوج أمي بأنني لم آخذ منهما شيئًا من قبل ولست طالبًا شيئًا .

هذا الشعور مازال موجودًا في نفسي إلى اليوم ، وأنا أتحدث إلى أحمد الرحال الذي سينقل كلامي كما هو لأنه هو الآخر ابن ليبيا» .

ثم اتجه فلاح في النقطة التالية إلى أبناء أمه الليبيين شارحًا أسباب مقدماته هذه فقال :

«أهمية هذه المقدمات كلها لأبين من خلالها أننا جميعًا كنا مغفلين وضحايا مؤامرات سببت الانفصال المشؤوم ، وأنا هنا أتذكر قصة خروج اليهود أيام الفراعنة وقصة سيناء والأربعين السنة ، تلك الذكرى التي مازلنا نتذكرها سنويًا هي شبيهة بذلك الانفصال المشؤوم والمدبر ، الذي فرّق بيننا نحن أبناء ديانتين من أب واحد هو إبراهيم عليه السلام ، هنا وفي هذا الوقت وبعد انتهاء قرن من (التغفل) عشنا فيه تحت نير الاستعمار ، ثم تحت الوصاية البريطانية التي كانت استعمارًا أيضًا ، وكانت تعامل العالم بطريقة فرّق تسد ، بعد نهاية ذلك القرن من الضياع ومع بداية قرن جديد ، نحن نتمنى أن نتخلص فيه من أمراض الماضي والعقلية الاستعمارية التي زرعت فينا تلك الأمراض ، فنحن

مازلنا نعاني بسبب تجار السلاح أصحاب المصلحة في هذا الدمار ، بدخولنا عالم قرن جديد يجب علينا نحن كيهود وكمسلمين من الأم نفسها (ليبيا) أن نستيقظ من غفوتنا ، وأن نتبنى التاءات الثلاث ، التسامح والتطوير والتعويض العادل لنا جميعًا ، ولكي ننتصر على التاريخ المزور الذي فرقنا .

بتلك الوحدة والتلاحم يمكننا أن ندخل قرنًا جديدًا فيه المصالح المشتركة والمستقبل المشرق ومبادئ احترام الديانات السماوية المتبادل . وأنا أعتبر أن ذلك اللقاء كان بداية مهمة ، ولكنه يحتاج إلى متابعات» .

ثم عبر عن ثقته في أن زوج أمه سوف يكون وفيًا لذلك اللقاء لأنه يعتبر أن شجاعة القيادات لا تقاس بسرعة أخذ القرارات ، بل إن الزمان بفاعلياته هو الكفيل دائمًا بإبراز الشجاعة من خلال الممارسة والتفكير والنية المخلصة والتطبيق .

قال فلاح موجهًا كلامه إلى القذافي :

«بهذا التعبير الصريح أنا مؤمن بكم وواثق فيكم ، وأعلم أنكم تثقون فيّ وفي حسن نيتي ، وذلك من خلال ما أذكره من مد اليد للمصافحة بحرارة تبادلناها ، وعلى ذكر المصافحة الحارة في ذلك اللقاء التاريخي أنا أريد التركيز على أمرين مهمين ، هما :

* بعد التغلب على الحصار والخروج من ضيقه وإغلاق ملف لوكربي ، ينبغي حل مشكلة التعويض وإرجاع الحقوق التي تركناها في بلادنا (أمنا) إلى أهلها . الحل يجب أن يتم بطريقة عادلة وواضحة وذكية .

* ينبغي حل مشكلة المقابر وعلاجها بصفة عامة والقبور التي تم الاستيلاء عليها بخطأ أو جهل وتم تحطيمها ، الحل ينبغي أن يكون حلاً لائقًا وأدبيًا ، لأن الذي يموت يدفن جسده وتبقى روحه حية تحس بالألم والفرح ؛ لذلك فالمقابر التي تم الاستيلاء عليها ، بما فيها قبر والدي الذي قُتِلَ في مشاغبات

٤ - ٧ نوفمبر ١٩٤٥ يجب النظر في أمرها .

بعد هذا الكلام وهذه النقاط المهمة أنا لدي الشجاعة الكافية لأعبر عن إعجابي بعدد من المواقف والنظريات التي يمكن أن تكون قريبة من الحكم ، منها نظرية الكتاب الأخضر وفكرة النهر الصناعي ، ومنها فكرة التنازل عن البرامج النووية ، ومنها كشف خطورة التطرف الديني قبل أن تتنبه أية جهة أو قيادة أخرى في العالم إليها ، أنا معجب بالمواقف التاريخية المنبثقة عن تفكير حكيم وكبير ، ويمكنني أن أضيف بشجاعة حلمي الأخير المتبقي في جعبتي ، أقدم هذه الإضافة إلى أمي عن طريق زوج أمي وأسرته ، أضيف هذا الحلم كاقتراح أتمنى منكم أن تتعاملوا معه بشجاعتكم المعروفة عنكم ، هذا الاقتراح هو :

(تكوين مؤسسة أنا أسميها - الشركية السماوية - ما بين أبناء وأصدقاء أرض أمي الأفريقية التي تشمل مساهمين حسب مشاركة كل منهم ، فمنهم من يمد يده ومنهم من يمد يد عائلته ، هذه المؤسسة تعمل على إرساء دعائم التسامح والتعايش السلمي بين أديان ربنا كلها) .

لأن الذي يهمني الآن هو أن تعود الحقوق إلى أهلها وأن نرفع الظلم من على أرضنا ، وأنا أعني بالحقوق أي حق ضاع من أي مظلوم بما فيها حقوق الناس الذين ظلموا في الثمانينات من القرن الماضي ، الذين نهبت أموالهم وقتلوا وعذبوا ظلمًا وبهتانًا»

فلاح كان يكرر في كل مرة أن اليهود في المجتمع الليبي هم كالملح في الطعام ، لأن الأقليات دائما هي الملح الذي يعطي طعمًا جيدًا ومذاقًا مستساغًا ، على اعتبار أن الأقليات تمثل الاختلاف في العرق والثقافة ، والمائدة لا بد من تنوع موادها كي تكون شهية محبوبة .

منتديات الطريق الى السنّة

آلدو حبيب

في لندن سألت رفائيل لوزون عن يهودي ليبي كان من سكان طرابلس ويعرفها ، فدلني على السيد آلدو حبيب وهو من مواليد عام ١٩٢٩ ، عندما قابلته للمرة الأولى في بيته في الشهور الأخيرة من عام ٢٠٠٦ كان في السابعة والسبعين من عمره .

عندما اتصلت به لأزوره صحبة رفائيل ، اقترح أن يعد لنا بيديه وجبة غداء طرابلسية هي عبارة عن أكلة سمك (حرايمي) ، ولكنني طلبت منه تأجيل ذلك لكي يكون لقاؤنا الأول لقاء حوار متعلق بهذا الكتاب ، فوافق بعد أن أخذ مني موثقًا بأن آتيه ليكرمني على مائدته السمكية الطرابلسية .

آلدو يحب إعداد الطعام الليبي بيده وكان يفتخر بذلك ويتفنن فيه ، ويردد دائمًا إنه يتقن إعداد (السفنز ، وهو نوع من الفطائر المعروفة في طرابلس وما حولها وفي تونس أيضًا ، وكذلك السباكيتي ، والشكشوكة ، وهي تعد بالبيض) .

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

استقبلني ورفائيل مرحبًا بنا بلهجة طرابلسية ممزوجة بنوع من اللكنة اليهودية المعروفة ، ولكن لغته الأساسية التي تكلم بها كانت الإنجليزية ، لأنه قضى معظم حياته التي عاشها في لندن مع زوجته الانجليزية الأصل وأبنائه الناطقين بالانجليزية ، ولكنه كان يستخدم كلمات طرابلسية ليضفي شيئًا من اللطف على أجواء اللقاء .

انطلق في حديثه باسترسال لم أقاطعه فيه إلا قليلاً ، وكان معظم حديثه عن الأعمال التي كانت تقوم بها عائلته في ليبيا وعن والده الذي كان رجل أعمال ناجحًا جدًا ، وفي أثناء ذلك كان يتحدث عن ليبيا ذات القدرات الجبارة وإمكانياتها ؛ لكي تصبح دولة متقدمة غنية منتجة وتقف في دول الصدارة في العالم .

قال آلدو :

«اسمي آلدو حبيب ، من مواليد طرابلس وتحديدًا مقابل قراند هوتيل ، وأنا وعائلتي الوحيد الذي بقيت من عائلة والدي جوزيف حبيب ، الذي كان من أصحاب الأعمال الكبيرة في طرابلس .

بدأت العائلة أعمالها منذ عام ١٩١١ ، وقد كانت عائلة فقيرة جدًا ، فقررت أن تغير حياتها وأحوالها بالانطلاق في مجال الأعمال مع الصبر والحكمة .

عمل والدي وعمي بجدية وقوة ، واستمر ذلك الحال من المثابرة حتى بعد مولدي وإلى أن صرت صبيًا أدرك ، وأذكر أن والدي كان يشتري جلود الحيوانات . وبسبب عدم توفر المواصلات كان والدي وعمي يحملان الجلود على الدراجة من البيت إلى الساحة ، وهي المكان الذي يبيعان فيه الجلود ويقومان بإصلاحها وتجفيفها ، وهذا كان صعبًا جدًا .

وكنت أسأل والدي لماذا القيام بأشياء كثيرة ومختلفة وأعمال شاقة ، وكان يجيبني بأن ليبيا بلد صغير ، ومن يريد أن يصير غنيًا عليه أن يعمل في

مجالات مختلفة . فقد قام بأعمال مختلفة ، منها المتاجرة في السيارات ، وإطارات السيارات ومواد البناء وجلود الحيوانات .

في الأربعينيات كون والدي وعمي ثروة جيدة وأعمالاً ناجحة ، وصار لدينا محلاً للسيارات ، وتخصصنا في أنواع من السيارات وصرنا الوكلاء لسيارة دودغ الأمريكية ، وكان أكثر تعاملنا في ذلك مع قطاع الشرطة لأن تلك السيارات أكبر وأقوى من سيارة لاند روفر .

كان العمل رائعًا ، وكان والدي يتعامل مع زبائنه بالثقة ويقدم خدمات بدفع مؤجل ، لذلك صار عندنا زبائن كثر ، منهم من يشتري إطارات السيارات والشاحنات ، ومنهم من يشتري مقطورات وسيارات ، وكان الزبائن مسرورين لأن البنك في ذلك الوقت لم يكن يعطي خدمات جيدة ، لذلك كنا نحن نقوم بذلك الدور ، وهذا كان في مصلحتنا ومصلحة الناس . كذلك كنا نقدم مساعدات لبعض الناس ممن كانوا يرغبون في القيام بمشاريع معينة جديدة .

أذكر أنه كان بعض الناس ممن كانوا فقراء وكانوا يأتون في الخمسينيات إلى والدي يقترضون منه مالاً ويوقعون على كمبيالات ، وكذلك كان منهم من يعرف أن والدي كان يتاجر في الملابس القديمة وغيرها ، فكان الواحد منهم يأتي بعد شهر من الزمان بسيارة كبيرة تحمل كميات من الملابس القديمة وغيرها ، ثم بعد اختبارها من قبل الدولة كان والدي يصنفها ويقوم بشحنها إلى إيطاليا ، لنستوردها مرة أخرى من إيطاليا وبريطانيا على شكل أغطية . كذلك كنا نشتري وبر الإبل وشعر الحيوانات والصوف للغرض نفسه . من تلك المساعدات صار أربعة أوخمسة من أولئك الناس من رجال الأعمال الأغنياء .

كنا نتعامل مع شركات إيطالية كانت هي التي تشتري منا الملابس القديمة والصوف والشعر والوبر .

أذكر أحد الذين كانوا يتعاملون معنا بثقة كان طيبًا جدًا وأمينًا ، فكان إذا

اقترض مبلغًا من المال من أبي يعمل به فيربح عليه ربحًا وفيرًا ، فكان إذا جاء ليرد الدين يقول لوالدي إنه ربح مبلغًا جيدًا ويعرضه على أبي ليتصرف فيه ، ولكن والدي كان لا يأخذ إلا القرض الأساسي ولا يزيد عليه شيئًا ، لأن والدي كان يعرف أن التعاون ضروري بين الناس وهو أهم من المال ، والدليل أن ذلك التعاون كان مفيدًا للناس الفقراء الذين أصبحوا فيما بعد أغنياء ، وفي مقابل ذلك كان مفيدًا لنا ولشركاتنا .

في طرابلس كانت حياتنا حياة ليبية عادية ، فطعامنا كان طعامًا ليبيًا ، وأنا إلى اليوم أحب إعداد الطعام الليبي ، وأنا أعتبر أن أفضل الطعام هو الطعام الليبي والطعام التونسي . أمي كانت تتقن إعداد الكسكسي والمفروم والمبطن والطعام الليبي بشكل عام .

والدي في عام ١٩٥٢ عينوه قاضيًا من ضمن عشرة يهود وعشرين مسلمًا لإقامة القانون وترسيخ العدالة» .

في أثناء حديث آلدو كنت أحاول أن أجره للحديث عن الهجومات التي وقعت ولكنه كان يصر دائمًا على تجنب الحديث في ذلك ، وكان يقول دائمًا إن الليبيين طيبون ومسالمون ، ومع هذا ذكر أن أحداث حرق وضرب وقعت في جنزور والخمس ومصراتة عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٨ ، وذكر إن معظم اليهود خرجوا وبقي فقط ٦٠٠٠ يهودي حتى عام ١٩٦٧ .

ولكن مع إصراري على جره للحديث استطرد قائلاً :

«على كل حال حياتنا في ليبيا كانت رائعة وجميلة ، لأنها كانت حياة استقرار ، وهل يستريح الإنسان في غير بلده الذي ولد فيه ، وولد فيه آباؤه وأجداده؟

وعلى الرغم من الهجومات التي وقعت ضد اليهود الليبيين في فترات متقطعة بين عامي ١٩٤٥ و١٩٦٧ ، غير أننا كنا نشعر بأن حياتنا لا يمكن أن

تكون إلا في ليبيا بلدنا .

عندما وقعت الأحداث في الأربعينيات وبعدها ، كنت دائمًا أسأل والدي لماذا لا نذهب إلى بلد آخر مادمنا مهددين في هذا البلد بالقتل كما حدث لغيرنا من اليهود ، ولكن أبي كان يرد عليّ دائمًا بقوله : «يا ولدي هذي بلادي ، وين تبيني نمشي ونسيب بلادي؟» .

ولكن في أحداث عام ١٩٦٧ صار خروجنا حتميًا ، لأن الأمر في تلك المرة كان شديدًا جدًا والحكومة نفسها لم تستطع أن توقف المظاهرات .

ومع هذا كله أنا أعتبر نفسي دائمًا يهوديًا ليبيًا فقط ولا شيء آخر ، وحتى بعد المشاكل وخروجنا من ليبيا أعتبر أن الشعب الليبي شعب طيب ويحب الناس ، ويحافظ على التحية الصباحية الجميلة ، وهي صباح الخير ونهارك حليب لا يمكن أن أنسى جمالها وأنسها ، الناس يحيي بعضهم بعضًا حتى ولو لم يكونوا معارف .

نحن فقدنا الكثير بخروجنا من ليبيا ، وكذلك ليبيا فقدت الكثير ، بسبب خروج أبنائها وطائفة مهمة فيها ، ذلك لأن اليهود في بنغازي وطرابلس كانوا نشطين وكونوا ثروات بجهودهم ، وكان يمكن أن يشاركوا في بناء البلاد وتطورها .

الأحداث في عام ١٩٤٥ وقعت فجأة ، وأذكر عندما سمعت الضجيج خارج بيتنا قرب شارع سيشيليا ، صعدت إلى سطح بيتنا لأرى ما يجري فرأيت الحرائق .

كان والدي يذهب إلى عمله على (الكروسة) وهي العربة المجرورة بالحصان ، وكان يعمل عليها (كرارسي) وهو الشخص الذي يقود الكروسة . في يوم المظاهرت خرج أبي كعادته إلى عمله ، وفي أثناء توجهه إلى الكروسة رآه شخص يعرفه ، فناداه وهو يقول : (حبيب في الكروسة ، تعالى) فأسرع أبي نحو الكروسة وصعد ، وقال للرجل : (حتى أنت مشترك معاهم في هالدوة؟) أي

أنت أيضًا تشترك في هذا الأمر مع المتظاهرين؟ فخجل الرجل من نفسه وقال لأصحابه : (هذا حبيب خللوه يمشي) أي دعوه يذهب بسلام .

حتى الحصان في البداية كان يسير ببطء وهدوء ، ولكنه عندما سمع ورأى الضجيج فزع وعاد مسرعًا إلى أن دخل المحل المخصص له .

جاء المتظاهرون وحاصروا بيتنا ، وكان يوم السبت بعد الظهر ، وكنت أدرس عند صديقي ، وفجأة سمعنا الضجيج وصعدت إلى الأعلى ورأيت أناسًا كثيرين يرمون على بيتنا الحجارة ، وكانت ردة فعلي أن بحثت عن شيء أرد به عليهم من أعلى بيتنا ، فلم أجد إلا زجاجات خمر فارغة فبدأت ألقيها عليهم في الشارع حتى يبتعدوا . وبعد ذلك بفترة ابتعد المتظاهرون ، ولكن بعد أن ملأوا سطح بيتنا بالحجارة التي ألقوها علينا .

في اليوم التالي جاء البوليس إلى أبي وقالوا له إنني كنت ألقي عليهم (آسيد) من على سطح البيت ، وذلك بدلاً من أن يعالجوا المشكلة بطريقة صحيحة ويعرفوا من هو المبتدئ ، ولماذا قام بذلك الرد .

فأخذ والدي معه البوليس إلى أعلى السطح وقال لهم انظروا ماذا هناك ، ومن أين جاءت هذه الحجارة التي تبدو مقذوفة فعلاً على السطح ، وقد ألقاها علينا هؤلاء الناس ، كذلك ليبين لهم أنني لم أكن ألقي عليهم (آسيد) بل كنت ألقي عليهم زجاجات خمر فارغة .

تلك الأحداث كانت مؤلمة جدًا بالنسبة لي ، خصوصًا عندما سمعنا بأن المتظاهرين قاموا بأعمال شنيعة ، منها ، كما علمنا ، أن هناك من المتظاهرين من قام بعقر امرأة حامل ، وهذا شيء رهيب مخيف .

كانت أيضًا لدينا مزرعة في منطقة الزاوية ، مساحتها ١٠٠ هكتار ، وكان فيها عمال كثيرون وكانت مليئة بأشجار الزيتون . تلك المزرعة اشتراها السيد أحمد البشتي من أبي وكان فيها عشرة آلاف زيتونة ، وخمسة آلاف برتقالة ،

وكان فيها بقر وبيوت ، وقد اشتراها رخيصة ، فقد استغل الأحداث ، وأعطانا ثمنًا لها ٦٠٠٠٠ جنيه فقط» .

حاول آلدو إقناعي بأن المتظاهرين لم يكونوا ليبيين ، وقال إنهم ربما كانوا مصريين أو فلسطينيين .

ثم نقل آلدو حديثه إلى أحداث ١٩٦٧ فقال :

«في ١٩٦٧ كنت أعيش مع زوجتي وطفليّ الاثنين في بيتي قرب السفارة الأمريكية ، وعندما كانت الأحداث أذكر أن الشارع كان مليئًا بالناس وبالشرطة .

زوجتي ظنت أنها ستكون في أمان لكونها انجليزية ولن يحدث لها شيء ، لذلك خرجت في الصباح كعادتها ومعها الطفلان ، ولكن هناك من نصحها من العرب بالعودة إلى البيت ، وتركت كرسي الطفلين المتحرك ودخلت إلى البيت فهجم الناس على الكرسي وحطموه .

سبقتني زوجتي بالخروج لأنها كانت انجليزية وقد ساعدتها القنصلية البريطانية ، فقد قام القنصل البريطاني نفسه بالمساعدة ، فقد جاء إلى البيت وأخذ جواز سفر زوجتي ثم رجع إلينا بتأشيرة الخروج لزوجتي ، وأذكر أن صديقي صبحي الرايس وزوجته كانت إيطالية هو الذي أخذ زوجتي إلى المطار لكي لا تتعرض لأي أذىً في تلك الظروف الصعبة . حالتنا النفسية كانت سيئة بسبب الخوف الشديد من أن يهجم علينا أحد .

قبل خروجنا ساعدنا الرجل الطيب السيد محمد القريو جارنا حيث كنا نقيم خلف القصر الملكي في طرابلس ، حتى في أثناء المشاكل والهجوم ساعدنا هو وعائلته .

بعد ذلك بقيت أنا ووالدي وأمي وأخواتي في البيت ثم انتقلنا إلى شقة ابن عمي خلف الكنيسة الايطالية في (بياتسا كاثيدرالي) وبقينا هناك ، ثم

علمنا أن وجودنا في تلك الشقة كان يشكل خطرًا علينا وليس آمنًا .

ثم جاءنا البوليس الليبي وقالوا لنا إنهم لا يضمنون لنا الأمان في ذلك المكان ، لذلك كان علينا أن نذهب إلى المخيم الذي تم إعداده لليهود أو أن نسافر خارج البلد ، وقام بمساعدتنا ليبيون وقاموا بإخفائنا ، وهم كانوا أصدقاءنا ويعملون معنا ، وأذكر منهم صديقًا كان يشتري لأمي اللحم من الجزار اليهودي ويشتري لها متطلبات البيت .

اضطررنا للخروج وتركنا أملاكنا وأعمالنا في ليبيا ، بالنسبة لوالدي ترك رجلاً إيطاليًا يقوم له بأعماله ، وبقي بذلك عملنا في ليبيا حتى عام ١٩٦٩ ، وانتهى الأمر بخروج الطليان في ذلك العام ،

وتم الاستيلاء على الأملاك والأوراق المتعلقة بالأعمال .

بالنسبة للمخازن تم إحراقها بما فيها وكان فيها كل شيء متعلق بالأعمال ، ومنها الكمبيالات الكثيرة للذين كانوا يشترون منا بالدين سيارات وغيرها ، وقد خسرنا فيها ما يعادل نصف مليون جنيه تقريبًا في ذلك الوقت .

أنا في الحقيقة لم أر الأحداث المفجعة ، لأنني كنت بعيدًا عن الحارة ، حيث وقعت الأحداث المرعبة . ثم إننا علمنا من تجربة الأحداث السابقة في ١٩٤٥ وغيرها أن هذه الأمور ستتكرر مرة أخرى ، فأخذنا الحيطة لذلك .

في عام ١٩٦٩ غادر جميع اليهود الليبيين ، وذهب البوليس إلى محل عملنا ومخازننا وأخذوا كل شيء ، ولكن علمنا أن معمر القذافي أمرهم بأن يدفعوا لنا الكمبيالات ومالنا من أموال .

أما عن القتل ، فأنا لم أر أحدًا مقتولاً أمامي ، ولكننا سمعنا من الناس ، أما نحن فقد كنا محميين إلى حد كبير .

في السفر عند تهجيرنا أعطونا فقط ١٠ جنيهات وحقيبة ملابس واحدة لكل شخص ، وذهبنا إلى روما أنا وأمي وأبي ، وبقينا بعض الأيام في روما قرب

(بياتسا ولونيا) عند أصدقاء لنا إيطاليين ، وبعد ذلك بأسبوع ذهبت إلى لندن حيث زوجتي وصهري وأولادي ، وبعد ستة أشهر حصلت على عمل في لندن .

أما أبي وأمي وأخواتي فقد ذهبوا إلى ميلانو للإقامة هناك وكان لنا هناك أعمال ، وبقيت أعمالنا بين إيطاليا وليبيا ، وكنا نديرها ونحن في الخارج ، فمثلاً كانوا يطلبون أنواعًا من الآليات والسيارات وكنا نوردها لهم من أعمالنا ، غير أن ما بقي من مخازننا في ليبيا بعد ١٩٦٩ لم نعد نعرف عنها شيئًا .

على كل حال لسنا وحدنا من تضرر من ناحية مادية لأن هناك من الليبيين الآخرين من غير اليهود من تضرروا مثلنا في أموالهم وأملاكهم كما علمنا بعد ذلك .

وعلمت بعد ذلك من أصدقاء لي ومن بعض المعارف ، أن علاقة معينة بقيت بين يهود ليبيين وليبيين غير يهود في إيطاليا من أصحاب الأعمال ممن كانوا يقومون بأعمال بين ليبيا وروما من خلال اليهود الليبيين» .

ثم انتقل الحديث عن إمكانية التجارة بين ليبيا والخارج ، فذكر آلدو أنه يعتقد أن ليبيا بإمكانها أن تتاجر في مواد كثيرة ، وذكر أنه هو نفسه يتمنى أن يشارك في ذلك لأنه يرى أن هذا يرفع من مستوى البلاد ؛ لأن ليبيا لديها مواد مهمة جدًا تنفع للتصدير مثل الفول السوداني (الكاكاوية) والمياه وغيرها .

وحدثني عن حزنه الشديد لأنه حاول تجديد جواز سفره الليبي ولكنهم رفضوا تجديده له ، وقال إنه يحب ليبيا التي تربى فيها على الرغم من كل شي وقع ، وأنه في لندن وإيطاليا يسأل دائمًا عن الليبيين ويعرض عليهم صداقته لكونه ليبيًا طرابلسيًا ، كما أنه لاحظ أن هناك من الليبيين من يرتبك ويخاف عندما يذكر له إنه ليبي طرابلسي ويهودي في الوقت نفسه .

وأخبرني أن ابنته تعمل مع إذاعة بي بي سي ، وهي تقول له إنها تحب أن ترجع إلى ليبيا لتعيش فيها ، وتحب كذلك أن تعد برامج عن ليبيا .

هذا هو آلدو حبيب وهكذا تحدث عن معاناته ومعاناة عائلته ، ومع هذا يستبشر ويفرح عندما يتعرف إلى أي ليبي ، ويقبل بكل جوارحه ويتعامل بكرم ليبي طرابلسي جميل ، ويحب تقديم النصيحة التي يراها مفيدة لأجيال لم يدركها في ليبيا .

في حواري معه لم يتوقف عن ذكر جمال الحياة في ليبيا وشوقه إليها ، ولو كتبت ما قاله بالحرف لاحتاج ذلك إلى صفحات أخرى كثيرة ، غير أنني حاولت أن أجمل حديثه وأن أقلل من التكرار ما استطعت .

وقبل إنهاء الحوار معه قال لي مستدركًا إنه عندما علم بزيارة رفائيل فلاح إلى طرابلس ، استبشر وصار لديه الأمل في أن يتحقق حلمه وأن يحصل على بعض حقوقه المعنوية والمادية . وأشار بوضوح إلى أن اليهود الليبيين كانوا فعلاً مشاركين في المجتمع الليبي ومفيدين له أيضًا .

صورة تجمع فريق كرة السلة الذي كونه والد آلدو وهو الذي يبدو في الصورة السابع من اليمين واقفًا ويبدو الأول على اليسار جالسًا السيد أحمد البشتي الذي صار فيما بعد وزير خارجية

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

عائلة الزروق

في جلسة أخرى من لقاءاتي المتعلقة بمادة هذا الكتاب ، أخذني رفائيل لوزون إلى مدينة ليفورنو في إيطاليا لكي نزور عائلة الزروق ، وعندما وصلنا واستقبلتنا العائلة شعرت باختلاط في المشاعر ، فلم أعد أميز إن كانت تلك الزيارة للحوار ولمعرفة المزيد من المعلومات عن قصة يهود ليبيا ، أم أنها تحولت إلى زيارة اجتماعية إلى أسرة ليبية من عائلات مدينة بنغازي .

تكون لدي شعور حقيقي بأن تلك الزيارة كانت اجتماعية ، خصوصًا عندما استقبلنا ثلاثة من الإخوة الأربعة من عائلة الزروق ، ومعهم (دوللي) ابنة التاجر

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

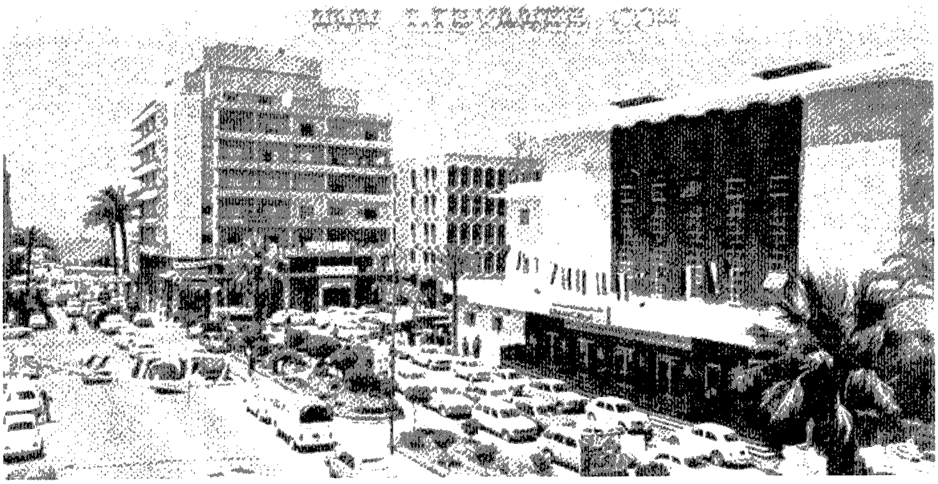

اليهودي المعروف (بدوسا) وهي زوجة الأخ الأكبر (مئير) . كانت الابتسامة تعلو وجوههم والمزاح على الطريقة الليبية يسيطر على أسلوبهم في الحديث .

شعرت بفرحة ممزوجة بشيء من الحزن وأنا أنظر إليهم وأسمع حديثهم وحسن مقابلتهم ، وكان الصوت الذي غطى مساحات السماع لديّ ينادي قائلاً : ليبيون ، هؤلاء ليبيون ، وليس في حديثهم ما يدل حتى على أنهم يهود ، لأن لهجة اليهودي الليبي تختلف شيئًا ما عن اللهجة التقليدية ، ولولا أنهم تحدثوا عن مأساتهم كيهود لما بدا عليهم أنهم شيء سوى أنهم ليبيون . وهم يصرون على ليبيتهم على الرغم من كل ما حدث لهم .

ثم تحولنا بعد الاستقبال إلى جدية تليق بما جئتهم من أجله ، وهنا رأيت مرة أخرى طريقة العائلة الليبية وهي تقدم الأقدر على الكلام والمحاورة ، فكان المتحدث هو صمويل الأخ الثاني في الترتيب بعد أخيه الأكبر مئير .

صمويل الزروق عرف بنفسه بعربية وبلهجة بنغازية غير متكلفة بأنه من مواليد بنغازي عام ١٩٤٥ .

درس الثانوية في سيدي عبيد ، ثم درس في كلية الاقتصاد والتجارة ببنغازي . وعندما وقعت الأحداث عام ١٩٦٧ كان في السنة الثالثة قبل التخرج ، فلم يستطع أن يواصل دراسته .

تحدث صمويل عن الحياة الاجتماعية قبل الدعاية الناصرية والقومية العربية ، فوصف الحياة الاجتماعية بكونها هادئة وجميلة على الرغم من وقوع بعض المشاكل في بنغازي عام ١٩٤٨ ، غير أنها لم تكن كالمشاكل التي حدثت في طرابلس آنذاك .

ثم جاء انقلاب مصر (ثورة ٢٣ يوليو) ١٩٥٢ وانقلاب العراق ، بعدها بدأ يدخل البلاد عرب من دول عربية مختلفة ، وهنا يصف صمويل الشعور العام عند اليهود الليبيين وغيرهم في ذلك الوقت فقال :

«كان الناس في بنغازي يعرف بعضهم بعضًا ، وكانوا يعيشون في أمان واستقرار ، ولكن بعد ظهور المد القومي ودخول العرب من كل مكان اختلط الأمر وبدأت المشاكل ، كما بدأت الأمور تسير في اتجاه غير الاتجاه الذي كانت عليه . هذا الأمر كدر العلاقات بيننا وبين مجتمعنا الليبي .»

ثم فجأة حول صمويل حديثه إلى المقارنة بين القومية العربية والاتجاهات الإسلامية المتشددة قائلاً :

«على كل ما كان في القومية وما سببته من مشاكل ، غير أنها كانت أرحم بكثير من التحول إلى التطرف والتعصب الديني ، فالأمر صار أكثر خطورة من ذي قبل .

التدين الجميل كان موجودًا من قبل ذلك في ليبيا ، وكان جيدًا لأن التدين في حد ذاته يهذب الإنسان ويحافظ على المجتمع من نواح كثيرة ، ولكن تغيرت الأحوال بدخول الأصولية الدينية والتطرف والعصبية ، وأثرت هذه الأمور حتى في بعض الناس الذين كنت أعرفهم ، فقد علمت مرة أن أحد أصدقائي في

ليبيا منذ أيام الدراسة قد تحول الآن إلى التعصب والتطرف ، حتى إنه ترك عمله ولم يعد يرد على الهواتف . هذا الشخص كان رياضيًا من قبل وكان متدينًا ، ولكن المشكلة أن تيار التعصب الديني جرفه . وأنا أتمنى ألا يكون هذا الأمر موجود بكثرة في ليبيا .

العالم الشرقي بأديانه المختلفة عالم مؤمن أهله مؤمنون ، حتى النصارى منهم . في الشرق عندنا أهل الأديان مؤمنون لأنهم يصدقون ويؤمنون بالله وبأنبيائهم ، وليس كما الحال في الغرب ، ففي أوروبا كثيرًا ما تجد من هم غير مؤمنين أصلاً .»

استغرق صمويل في الحديث عن القومية العربية والإسلاموية ، ثم بعد ذلك تذكر حوارنا المتعلق باليهود الليبيين فعاد قائلاً :

«أنا أذكر من الأحداث التي وقعت عام ١٩٤٨ عندما وقع الهجوم في طرابلس كان عمري ثلاث سنوات ذهبنا إلى بيت جيراننا ، وذلك لكي يقوموا بحمايتنا من أي هجوم أو أذىً قد يقع علينا . ثم وقعت الأحداث بعد ذلك على فترات مختلفة وكانت أحداث عام ١٩٦٧ أصعب الأحداث وآخرها ، فقد هاجرنا بعدها مرغمين ، وذلك لأن الضرب والقتل حدث في طرابلس وبنغازي ودرنة .

في تلك الأحداث أحرقوا مخازننا الثلاثة كما أحرقوا مخازن بدوسا وجميع مخازن اليهود ، وبالتالي لم يكن هناك خيار لنا سوى أن نذهب إلى المخيم الذي تم تجميع اليهود فيه استعدادًا للهجرة إلى إيطاليا .»

لاحظت أن صمويل لم يفصل كثيرًا في قصة ١٩٦٧ وكأن الأحداث كانت معروفة لكل إنسان ولا تحتاج إلى تفصيل ، وشعرت أنه كان فعلاً متأثرًا جدًا بها حتى كأنها قصة من القصص المشهورة في التاريخ ويعرفها القاصي والداني .

ولكن الحديث جر أخاه للحديث عن بعض ما حدث ، من ذلك قصة

المقهى الذي كان يشتري منه فنجان قهوته كل صباح ، كان يشتري قهوته منه ويفضلها في كثير من الأحيان على قهوة البيت ، وذلك ثقة منه فيها وفي صاحبها .

ولكن في يوم من أيام ما قبل الأحداث طلب قهوته كالعادة ، فاكتشف بصقة على وجه القهوة فشعر شعورًا حقيقيًا بأن الخروج من ليبيا صار قريبًا وحتميًا .

وقال صمويل بأن أحداث القتل والضرب قد أثارها شيوخ مصريون كانوا مبعوثين لتوجيه وتوعية الناس دينيًا ، فكانوا هم أئمة المساجد وكانوا ينادون في الناس بالتحرك لقتل اليهود أينما كانوا .

ثم تم تهجير العائلة إلى إيطاليا مع غيرهم من اليهود ، وهنا يتابع صمويل :

«وصلنا إلى إيطاليا لاجئين ، جئنا إلى هنا ونحن نحمل في قلوبنا وأرواحنا ليبيا ، وكنا مثال العائلة الليبية بعدد أفرادها الكبير ، وهنا عشنا ليبيين وشعرنا بنوع من العنصرية وأحسسنا بأنفسنا غرباء ، وأننا فعلاً ليبيون على الرغم من أننا كنا نتكلم اللغة الإيطالية منذ أول يوم في إيطاليا .

أنا الآن أعمل هنا وحياتي هنا ولكن شعوري بليبيتي مازال يسيطر عليّ وعلى عائلتي وإخوتي ، ولم أنس ليبيا التي لي فيها ذكريات عمري الجميلة ، أذكر كل شيء فيها وأحن إلى كل شيء فيها حتى السلبي ، وذلك لأن جذورنا في ليبيا وأصولنا هناك ، فمقابر أجدادنا هناك وتربينا هناك في أجواء معينة لا يمكن أن تُنسى .

نحن نعيش هنا مدة ٤٠ عامًا وهي مدة كافية لكي يتأقلم الإنسان ويتكون تكوينًا جديدًا ، كما أن أعمالنا كلها هنا في ليفورنو ، ولكن مع هذا كله لو أتيحت لنا فرصة العودة مع ضمان العيش بسلام وأمان في ليبيا فلن نتردد في العودة إلى هناك .

نحن نلحظ التحسن في الأوضاع في ليبيا ، ولكن نتمنى أن تتغير الأمور

إلى الأحسن والأفضل ونتمنى أن يعود يهود ليبيا إلى موطنهم الأصلي ليبيا . والتحسن الذي أتمناه هو أن تتحول البلاد إلى الانفتاح والحرية والتبادل التجاري والاستقرار والتبادل الثقافي ، لكي نستطيع أن نتعامل معها براحة أكثر ونشارك في بنائها وتطورها . ليبيا تتميز بإمكانيتها الرائعة من موقع جغرافي إلى عدد سكان وثروات طبيعية وسياحية كبيرة جدًا .

أنا الآن في حدود سن التقاعد ولكن مع هذا أحلم بأن يأتي يوم أذهب فيه إلى ليبيا لكي يرى أبناؤنا مكان مولدنا في بنغازي ولنقول لهم هذا هو بلدنا ، ونحن نتمنى أن يذهب أبناؤنا ليعيشوا في ليبيا مرة أخرى وليشاركوا في البناء والتطوير لكي تصير بحق في مصاف الدول المتقدمة . وأنا أرى أن الجالية اليهودية الليبية يجب أن تسهم في تطوير البلد .

أنا شخصيًا عندما درست اقتصاد وتجارة كان طموحي أن أعمل إداريًا في الأجهزة الليبية كما فعل زملائي في الجامعة بعد تخرجهم ، فقد عملوا في الوزارات والمراكز القيادية . ولكنني متفائل جدًا وبعون الله سترجع الأمور أحسن مما كانت عليه من ذي قبل .

أكثر شيء يخيفني هو التعصب الديني لأنه مضر ويفسد المجتمع ، وأنا ضد التطرف الديني مهما كان ومن أي دين كان ، حتى ولو كان تطرفًا دينيًا يهوديًا ، ولكن في مقابل هذا أنا أحترم التدين والالتزام الديني البعيد عن التطرف والعصبية والعنصرية .

في الأزمان التي عاش فيها المسلمون واليهود في أمان كانت هناك حضارة ، فمثلاً اليهود عاشوا في أمان مع المسلمين في أيام الأندلس ، وكذلك تحت الدولة العثمانية .

كذلك عندما قدم المسلمون فلاسفة ومفكرين من أمثال ابن رشد قدم اليهود بن ميمون . هذا الأمان لا يمكن أن يحدث إلا عندما يكون التعامل مع

الدين على أنه لله وليس على أنه مصدر العنصرية والتطرف .

حتى قبل الإسلام كان هناك الشاعر الكبير السموأل بن عادياء وهو كان يهوديًا ، وكان معروفاً بالأمانة وكان صاحب امرئ القيس الكندي ، وقد أعطاه كلمة وميثاقًا كي يساعده كي يسترجع حقه بعد أن تخلّى الناس عنه . كذلك سيبويه عملاق العربية وسيدها كان يهوديًا» .

ثم عاد الحديث من جديد بيني وبين صمويل وأخيه الأكبر مئير وأخيه الأصغر داوود في حضور رفائيل لوزون ، إلى الذكريات الليبية والحياة الاجتماعية وعمقها في ليبيا ، واندماج اليهود الليبيين فيها بقوة وعمق .

وحاولت مرات مختلفة أن أعود إلى الحوار بطريقة رسمية غير أن مجرى الحديث وسلاسته غلبت على الجلسة ، ولكن مع هذا كل تجرأت وسألت مئير الذي كان يرفض المشاركة في الحوار بشكل رسمي ، على الرغم من أن هيئته توحي بأن لديه ما يقول .

سألت الإخوة الثلاثة عن موضوع وعد بلفور ، وتوجهت بالسؤال بشكل مباشر إلى مئير فأنكر معرفته ببلفور ، أنكر معرفته لا لأنه لا يعرف بل من قبيل الاستنكار ، وكان رده بطريقة مازحة (من هو بلفور هذا ، من هو ، أنا من مواليد ١٩٤١ وهو متى كان وماذا كان يريد) ، ثم أردف معبرًا أن في وقت وعد بلفور لم يكن هناك حتى أجهزة مسموعة في ليبيا لمعرفة ما كان يجري في العالم ، لأن الحالة في ليبيا كانت سيئة جدا في ذلك الوقت ، وكانت تكاد تكون معزولة عن العالم ، وأن اليهود الليبيين كانوا يعيشون المعاناة التي كان يعيشها الليبي العادي في عالمه الخاص البعيد عن السياسة وتقلباتها آنذاك .

وعاد الإخوة من جديد للتعبير عن شوقهم إلى ليبيا التي تركوها مجبرين حتى وصل الأمر أنهم عبروا عن شوقهم إلى الحراك القومي وقيادة عبدالناصر في ذلك الوقت ، وتحدثوا عن حنينهم إلى كل شيء يرتبط بذلك لدرجة أن

داوود الأخ الأصغر هو من مواليد الخمسينيات ، صار يردد بعض الأغاني الثورية كأغاني أم كلثوم وعبد الحليم حافظ ، ثم عقبوا بأن شوقهم ذلك لم يكن لأنهم كانوا يؤيدون عبد الناصر ، بل لأنهم كانوا فقط معجبين به وبقوته وبلاغته في الخطب وتأثيره في الملايين ، كما أن الشوق كان من قبيل الذكريات ، فالإنسان يشتاق دائمًا إلى الماضي مهما كان .

وقال صمويل إن إعجابه بعبد الناصر كان بسبب أنه كان قائدًا فذًا حرر العرب وهز الدنيا بخطبه ، وأن جيله هو الذي صنع الأجيال الجديدة . ثم اقترب داوود وهو يردد بعض الأغاني الثورية والقومية .

أما عن عمر المختار فقد ذكر صمويل كيف كان التعاطف معه بقوة ، وأن من العائلات اليهودية من كانوا يقدمون له المعونات ، لأن الطليان عذبوا العرب وكان من الواجب نصرة من وقفوا في وجههم وعلى رأسهم كان البطل عمر المختار .

كما تحدث عن دور اليهود الليبيين في مساعدة المقاومة الليبية ضد المستعمر الإيطالي ، وذكر مثير قصة رفائيل لوزون جد رفائيل صاحبنا الذي كان من أصحاب رمضان السويحلي وكان شجاعًا .

وحكى قصة لرفائيل عن جده وأبيه فقال : «إن جد رفائيل كان رجلاً شجاعًا ومحافظًا جدًا وصارمًا في تربية أبنائه ، فمرة عاد ماموس ابنه وهو والد رفائيل متأخرا في ليلة من الليالي ، فلطمه أبوه لطمة على وجهه حتى أوقعه أرضًا على الرغم من أن ماموس كان متزوجًا وقتها ، وكان ذلك في حضور زوجته» .

ثم عبر صمويل عن أن الأمر كان بسبب النخوة الليبية التي كان يتحلّى بها اليهود الليبيون ، وأضاف قصة أخرى تعبر عن المروءة وعن كون اليهود الليبيين كانوا فعلاً جزءًا من النسيج الليبي فقال :

«كانت هناك عائلة ليبية معروفة ، هرب ابنهم الأصغر إلى طرابلس مع

عاهرة فتبرأت منه العائلة ، فتدخل يهودي معروف من جيرانهم وذهب في سفر يبحث عنه حتى وجده وعاد به إلى بنغازي ، وقبل أن ينزل الولد من السيارة ذهب اليهودي إلى والد الابن وطلب له السماح والرضا ، حتى وعده الأب بأن يرضى عن ابنه ، وبذلك عاد إلى أسرته ليعيش معها بسلام» .

وفي ختام حديثنا عبر مرة أخرى صمويل عن إمكانية العودة إلى ليبيا ، وعن تمنيه الخير لليبيا بلده ، وقال بأنه فعلا يشعر بالحنين أكثر عندما يلتقي ليبيين ويتحدث معهم ، وقال إنه عندما زار ليبيا في الفترة الماضية وجلس في طرابلس مع بعض القيادات الليبية من أمثال عبدالرحمن شلغم ، وعبد العاطي العبيدي ، أحس بأنه فعلاً ليبي وأن هناك أشياء تربطهم بأولئك الليبيين ، وأنهم يشتركون معهم في طريقة التفكير والنقاش وحتى في الاختلاف ، فالتقاليد واحدة في كل شيء ، بدءاً من ثقافة الاحترام والعطف وانتهاء بطريقة العتاب والترحيب وغير ذلك .

جانكارلو كونسولاندي

Consolandi Giancarlo

السيد جانكارلو كونسولاندي مسيحي الديانة إيطالي من مواليد طرابلس عام ١٩٤٩ ؛ عاش في ليبيا حتى بلغ عمره ٢١ سنة عندما خرج مع الإيطاليين الذين أخرجتهم الدولة الليبية عام ١٩٧٠ .

تعلم في المدارس المسيحية الإيطالية المعروفة بمجموعة مدارس لاساللي ، فرع طرابلس ، وهي حسب فهمي منه مدرسة طرابلس للبنات اليوم ، وهي مجموعة المدارس نفسها التي تعلم فيها رفائيل لوزون ، غير أن لوزون درس في فرع بنغازي .

كنت مع رفائيل لوزون عندما التقينا السيد كونسولاندي ، لأن السيد لوزون هو الذي عرفني به في روما ؛ كان سرور كونسولاندي عند لقائنا واضحًا من البسمة التي لم تفارق وجهه وطريقة الترحيب بنا ، ولكن لضيق الوقت طلبت منه أن يكون لقاؤنا عاجلاً ؛ لأنه كان يريد أن يتحدث عن أشياء محددة وذات أهمية بالغة ، وعلى علاقة كبيرة بموضوعنا .

تحدث كونسولاندي عن الحياة في طرابلس التي ولد فيها وعاش فيها حتى سن ٢١ سنة من عمره ، كان يتحدث عن ذكرياته والدموع تخونه وهي تطل من عينيه ، معبرة عن صدق إنساني محض يحسه كل إنسان فارق موطنا ألفه وعاش فيها طفولته وشبابه .

قال كونسولاندي :

«بعد ٣٤ سنة سنحت لي الفرصة كي أزور طرابلس ، وكانت الزيارة عام

٢٠٠٤ ولمدة أسبوع واحد . زرت الأماكن التي عشت فيها والمدرسة التي تعلمت فيها .

عندما رأيت منظر مدينة طرابلس وأنا في الطائرة قبل هبوطها على أرض المطار ، رأيت اختلافًا كبيرًا ، فقد تغيرت معالم المدينة بشكل واضح وكبير ، شعرت برعشة الشوق واللقاء بعد طول غياب ، وأثر الموقف العاطفي في نفسي تأثيرًا عجيبًا ، كان الشعور ممزوجا بين فرح وحزن وشوق وحب ، اختلطت مشاعري فأصابتني تلك الرعشة التي أفقدتني الإحساس بالسنين التي فقدت فيها وطنًا لا يمكنني أن أقول عنه إلا أنه وطني الحقيقي ؛ وتأثرت أكثر عندما خرجت من الطائرة فوجدت في استقبالي بعضًا من أصدقاء الشباب ، فلم أتمالك مشاعري وانهمرت دموعي .

بكيت لأنني أرى أصدقائي في بلدي الذي عشت فيه عمري ، وبكيت لأنني حققت حلم حياتي ، وهو أن أزور طرابلس ، حققت هذا الحلم بعد انقطاع مدته ٣٤ سنة .

عندما نزلت مع أصدقائي في شوارع طرابلس ، حزنت كثيرًا لأنها لم تكن طرابلس التي عرفتها ، حتى عدد السكان زاد ، فبعد أن كان لا يتجاوز مائتي ألف نسمة هو الآن يفوق مليون نسمة ، كذلك رأيت المباني الجديدة ومناظر جديدة لم أعرفها ، وكان صعبًا أن أرى الذي تركته وعرفته وأتخيله في طرابلس التي عرفتها من قبل .

الشيء الذي أحزنني تلك الفوضى التي رأيتها في حركة السير وفي طريقة البناء والضجيج الزائد ؛ ولكن بعد يومين بدأت أتذكر وأعرف الأمور وصارت المعالم تتضح لي تدريجيًا .

أعجبتني معاملة الناس الطيبة ، خصوصًا عندما عرفوا أنني إيطالي من مواليد طرابلس ، كان الكرم والجود والترحيب رائعًا ، وشربت الشاي والقهوة

الطرابلسية التي عرفتها ولم أنس طعمها على الرغم من طول السنين .

زرت مصراتة وصبراتة ، وفي كل مكان كانت المعاملة الطيبة والكريمة تستقبلنا من خلال الناس الذين يشتد كرمهم وجودهم عندما يعرفون أنني إيطالي مولود في ليبيا .

وأجمل شيء كان هو يوم أن زرت المدرسة التي درست فيها وتعلمت فيها في صغري ، فقد قابلتنا مديرة المدرسة التي تحولت إلى مدرسة بنات الآن ، وسمحت لي برؤية الفصول التي درست فيها والأماكن التي أذكرها في المدرسة ، وكانوا كلما حاولوا أن يشرحوا لي عن معالم المدرسة سبقتهم أنا بالشرح والحديث عنها ، وتعجبوا من معرفتي وأنني لم أنس مدرستي ، وقالوا لي بأنني أعرف عن تاريخ المدرسة أكثر مما يعرفون ، وسألوني عن سبب ذلك ، فقلت لهم بأنني لم أتوقف عن الحلم بزيارة هذه المدرسة منذ خرجت من البلد ، لذلك لم أنسها . ودخلت الفصل الذي درست فيه الصف الأول الابتدائي منذ ٤٠ عامًا ، وصفقت التلميذات لي عندما كتبت التاريخ على اللوحة باللغة العربية ؛ وعندما وقفت أطل من نافذة الفصل وأنا أنظر إلى ساحة اللعب بكيت ، ولاحظت المديرة ذلك فتأثرت وسألتني عن سبب ذلك ، فقلت لها إنني أرى نفسي عندما كنت طفلاً وأنا ألعب الكرة في هذه الساحة مع زملائي وأصدقائي .

في طرابلس تحركت بحرية ولم يوقفني أحد أو يمنعني إنسان من التصوير أو غيره ، على الرغم من أن هناك من حذرني في روما من الذهاب لأنني إيطالي وربما أتعرض للأذى ، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث .

وكانت سعادتي لا توصف وأنا أتنشق الهواء في طرابلس ، الهواء الليبي العليل الذي افتقدته كثيرًا ، حتى إنني شعرت وكأنني ذلك الشاب الذي بلغ العشرين وأنا أتنفس ذلك الهواء العليل في طرابلس مرة أخرى .

مجموعة صور تجمع بعضاً من تلاميذ مدارس لاساللي وهم يلتقون بعد ٣٤ سنة من خروجهم من ليبيا

وأذكر أنه حتى عندما كنت أستعد للسفر عائدًا إلى روما ، وذهبت إلى السوق لأشتري صورًا ومناظر لمدينة طرابلس ، رفض البائع أن يأخذ مني مقابلاً ماليًا لأنه عرف أنني إيطالي من مواليد طرابلس» .

ثم سألت كونسولاندي عن عمله في روما وعن حياته فقال :

«أنا أعيش في روما وأعمل في ميلانو ، وأنا الآن رئيس رابطة للتلاميذ السابقين الذين درسوا في مجموعة مدارس لاساللي في ليبيا ؛ وعدد أعضاء هذه الرابطة يبلغ ١٠٠٠ عضو تقريبًا ، ومنهم مسيحيون ومسلمون ويهود ؛ ولنا لقاءات سنوية ، ونلتقي ٣ مرات في العام ، ويحضر هذه المؤتمرات السنوية الأعضاء جميعهم تقريبًا ، على الرغم من أنهم متوزعون على رقعة العالم كله . تلك اللقاءات هي فرصة لاسترجاع الذكريات وللحديث عن قضايا ثقافية .

المؤتمرات أحيانا نعقدها في روما وأحيانًا في مالطا ، لأن مالطا تجعلنا نشعر بأننا أقرب إلى ليبيا ، وأجمل شيء نحس به دائمًا هو أننا طبقنا عمليًا فكرة التواصل والحوار بين الأديان والثقافات ، الحوار الذي يتمنونه في عالم اليوم ، ونحن طبقناه حقيقة في ليبيا لأننا كنا نعيش ألفة ومحبة ، على الرغم من اختلاف أدياننا ومعتقداتنا وثقافاتنا ، فمنا المسيحيون باختلاف عقائدهم ، كالبروتستانت والانجليكانيين ، وفينا اليهود إلى جانب المسلمين بطبيعة الحال .

كانت مشاعرنا كإخوة لا فرق بيننا لأننا نجتمع في ثقافة معينة واحدة هي ثقافة المجتمع الليبي الطيب الجميل ، وفي مدرسة لاساللي التي كانت مفتوحة لأي دين وأية جنسية ، ولا نذكر أن العنصرية كانت موجودة بأي شكل من الأشكال .

تلك الأخوة والمحبة التي جمعتنا وجمعت تلك الثقافات والأديان كانت جميلة وسهلة جدًا ، بينما هي اليوم في العالم صارت صعبة وتواجهها العراقيل والمشاكل .

تلك الخبرة الطويلة علمتنا أن نكون أغنياء في عقولنا ونفوسنا وثقافتنا ، وهذه خبرة يمكننا أن نعلم العالم اليوم من خلالها كيفية التعايش بين الأديان والثقافات .

أعضاء هذه الرابطة جميعهم يتمنون ويرجون أن يعودوا إلى ليبيا في زيارات مفتوحة ، ويعيشوا فيها لأجل إعادة العلاقات الجميلة وبناء شبكة حوارات وتواصل حضارية بين الناس والأديان من جديد .

نحن في هذه الرابطة مستعدون أن نعطي ليبيا كل ما نستطيع ، وأن نكون كالقنطرة التي تربط ليبيا بالعالم أكثر وأكثر ، لأننا نعرف ليبيا ، وهل هناك من يستطيع أن يقوم بهذا الدور أفضل منا؟

وأنا مستعد لإقامة لقاءات وندوات وبرامج ثقافية وغيرها في طرابلس من أجل فتح الأبواب من جميع الجهات ، وهذا كله لأجل مصلحة بلد عشنا فيه أجمل أيامنا ولا يمكن أن نستغني عنه مهما كان . خصوصا فيما يتعلق بالعلاقات الليبية الإيطالية من الناحية الثقافية .

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

عائلة فرجون

أميليو فرجون رجل يبلغ من العمر ٩٥ سنة تقريبًا ، ولم يكن قادرًا على الحديث إلا بشكل مقتضب ولوقت قصير جدًا ، بسبب سنه ، لأن الذي حاورني نيابة عنه هو ابنه الدكتور دانيال فرجون أستاذ الفيزياء في جامعة روما .

دانيال من مواليد ليبيا ١٩٥١ ، تحدث عن كتاب أبيه الذي قام هو شخصيًا بالإشراف على جمعه وطباعته نيابة عن أبيه ، وهذا الكتاب يحوي في الغالب

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

سيرة ذاتية لوالده والعائلة ، وبعض الأحداث إلى جانب عدد لا بأس به من الصور والوثائق المهمة .

فرجون الأب ليبي الأصل ، وتمت دعوته إلى إيطاليا بسبب ذكائه ثم حصل على الجنسية الإيطالية وصار إيطاليًا . كان يدرس الكيمياء ثم الصيدلة ، وبسبب ذكائه ولأنه كان الأفضل على مستوى مجموعته وزملائه أخذوه إلى إيطاليا .

تحدث دانيال عن أصول العائلة المرتبطة بأسبانيا من جهة ، وبتركيا من جهة أخرى ، في تاريخ طويل ذكر في ثناياه سبب تسمية والده بـ(أميليو) ، ذلك أن أحد الضباط الذين دخلوا إلى ليبيا في الاحتلال الإيطالي لليبيا عام ١٩١١ كان يدعى أميليو .

دانيال ركز في حديثه على القصة التي روتها أمه عن أبيها ، وهي بنت دانيال حبيب جد دانيال ، لأن جده لأمه كان المترجم الذي ترجم القانون الإيطالي في ليبيا إلى العربية ، وهو الذي كان الترجمان الذي صاحب عمر المختار في زنزانته قبل الإعدام .

قال دانيال :

«جدي لأمي كان تلميذًا درس اللغة العربية في القاهرة ، وكان يعرف العرب جيدًا ويعرف الإيطاليين من جهة أخرى ، وهو من أصول تونسية ، لذلك كان يتقن العربية بطلاقة إلى جانب إتقانه الإيطالية .

عندما جاء الطليان إلى ليبيا أحضروا معهم القانون الإيطالي وهو باللغة الإيطالية ، واحتاجوا إلى ترجمان يترجمه لهم إلى العربية ، فكان المترجم هو جدي لأمي . كان مترجما رسميًا وذلك لحاجة الإيطاليين إلى مترجم في ذلك المستوى الذي كان عليه جدي .

قصة جدي مع عمر المختار هي قصة أحكيها هنا لأول مرة للتاريخ ، لأنها

قصة مهمة وتؤكد شخصية عمر المختار البطولية التي أحبها جدي واحترمها كثيرًا .

الإيطاليون أرادوا القبض على عمر المختار لإنهاء مشكلة عرقلتهم كثيرًا ، ذلك لأن عمر المختار كان أحد القادة الليبيين الذين تصدوا للمستعمر الإيطالي ، بل كان القائد الأول والأخطر في تلك المواجهة .

بعد القبض على عمر المختار صار جدي على علاقة جيدة معه ؛ لأنه كان الترجمان الذي كان يرافقه في زنزانته طوال فترة اعتقاله ، وفي أثناء التحقيق وفي كل خطوة تقريبًا .

جدي فهم بعد ذلك أن عمر المختار كان رجلاً شجاعًا وبطلاً حقيقيًا ولم يكن إرهابيًا كما أراد الطليان أن يصوروه للناس . وتأكد جدي من أن عمر المختار كان رجلاً يدافع عن بلاده ضد احتلال أجنبي ، لذلك هو كان بطلاً . وبالتالي

صار جدي مقربًا من المختار وصديقًا له .

كانت مدة المحاكمة قصيرة جدًا ، وانتهت في خلال أسبوعين فقط ثم تم إعدام عمر المختار شنقًا بعد ذلك فورًا .

في أثناء المحاكمة قال عمر المختار للطليان : أنتم تريدون اعتباري خائنًا ، كيف أكون خائنًا للمحتل ، أنتم تحتلون بلادنا وإذا وقفنا معكم فنحن نخون بلادنا .

وبذلك رفض المختار أن يعتبروه خائنًا او إرهابيًا . وعندما أعلن القاضي الحكم على المختار بالإعدام ، كان جدي يحمل معه نص القانون ، وتلا على المختار الحكم والمادة التي استند إليها القاضي ، وكان جدي يبكي في أثناء ذلك لأنه في قرارة نفسه لم يكن راضيًا على تلك المسرحية التي قامت من أجل قتل بطل كبير كعمر المختار .

ثم عندما تم إعداد منصة الإعدام وأحضروا المختار إلى المنصة ، كان جدي موجودًا لحظة رفعوا المختار عليها لإعدامه شنقًا .

وصف جدي تلك اللحظات بأنها لحظات رهيبة ، وحسب رواية أمي عن جدي فإن حبل المشنقة كان ضعيفًا فانقطع ، ففرح جدي وكثير من الحاضرين ، لأن الذي ينقطع به الحبل أو تنكسر مشنقته يعفى من حكم الإعدام ، ولكن الأمر جاء من غراتسياني بإعادة التنفيذ ، وانقطع الحبل مرة أخرى ، حتى ظن بعضهم أن الذي صنع الحبل تعمد صناعته ضعيفًا لكي ينجو المختار من الحكم . ولكن الأمر جاء مرة أخرى بحتمية التنفيذ ، وفي الثالثة تم إعدام المختار .

في المرة الثانية عندما كان المختار يصعد كان جدي يصعد معه وهو يبكي ، فربت المختار على كتفه وقال له : (عليش تبكي يا حبيب هذا مخبر ربي) أي لماذا تبكي يا حبيب هذا أمر الله . ثم قال بأن المختار طمأنه وقال له بأنه يعتبره أخًا وصديقًا ، لأنه كان هو الذي يصاحبه بعد أن فقد في زنزانته أصحابه وأهله

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

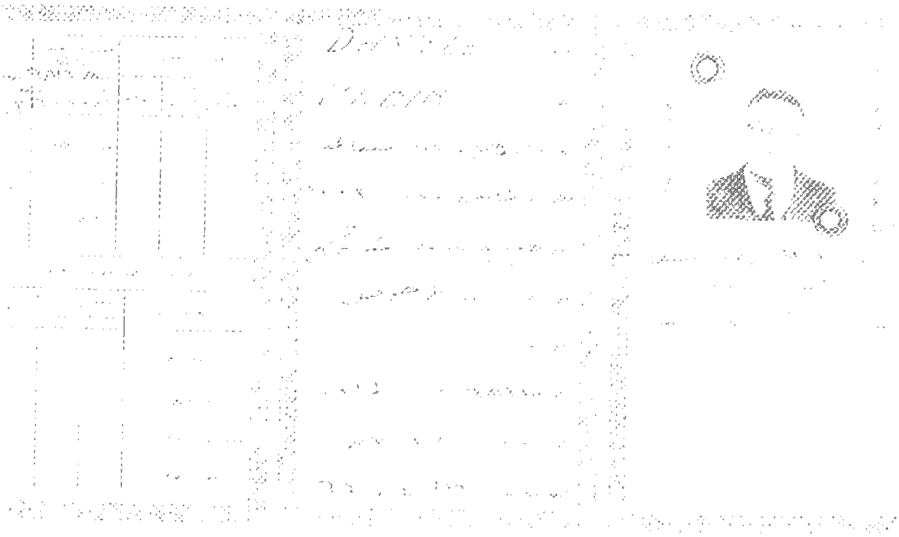

البطاقة الشخصية لدانيال حبيب جد دانيال

أميليو فرجون وهو يكتب الإهداء باللغة العربية باسم أحمد الرحال على كتابه

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

من العرب ، لذلك نشأت الصداقة بينهما .

الذي فعله الإيطاليون الفاشست في ليبيا هو أمر رهيب ، لأن الذي قام به موسيليني عن طريق غراتسياني هو مثل الذي فعله هتلر في الهولوكوست ، فإن الذي فعله الفاشست في ليبيا من تعذيب واغتصاب وتنكيل يفوق كل تصور ، هذا كله إلى جانب إعدامهم المختار . عائلة حبيب وهي عائلة أمي هي من العائلات التي لحقها الظلم بسبب النازية وهتلر ، فقد تم تهجير العائلة من ألمانيا بعد مقتل بعض من أقرباء العائلة ، إذن عائلة أمي عرفت معنى الظلم ، ولذلك نحن قدرنا حجم المأساة التي أوقعتها الفاشية بليبيا ، الفاشية التي اعتقلت شعبًا كاملاً في الصحراء وجوعته وقهرته» .

ثم تحدث عن قصة خروج عائلته من ليبيا عام ١٩٧٠ ، عندما تم إخراج الإيطاليين منها ، وقال إن الدولة استولت على الفيلا التي كانت للعائلة في شارع مراد آغا في طرابلس وكانت مؤجرة للسفارة الألمانية .

رفائيل جناح

رفائيل جناح هو الآخر من مواليد طرابلس ، عام ١٩٥٤ ودرس في مدارس إيطالية .

جناح خرج مع عائلته من ليبيا قبل أحداث ١٩٦٧ ، لأن والده كان يعمل في شركة إيطالية في طرابلس ومرض ، فخرجت العائلة معه إلى روما للعلاج عام ١٩٦٥ .

مرض والده وقرار العلاج في روما حدث فجأة ومن دون تخطيط ، وعندما ذهبت العائلة إلى روما كانت بغرض البقاء مدة أسابيع ، غير أن والد رفائيل توفي فبقيت العائلة في روما .

يقول جناح :

«عندما تركنا ليبيا كان عمري ١٠ سنوات ، ولكن على الرغم من ذلك مازلت أذكر أيام المدرسة وأصدقائي فيها عندما كنا نمارس الرياضة . كما أذكر علاقات أمي مع الجيران التي كانت علاقات جميلة وممتازة ، وأذكر عائلة القره مانللي التي كانت صديقة للعائلة . كما أذكر علاقات والدي الجيدة مع زملائه في العمل الوظيفي .

الذي أحزنني كثيرًا هو أنني خرجت من ليبيا فجأة ، أتعبني أيضًا مرض والدي الذي جاء مباشرة بعد خروجنا بأسابيع ، ثم قرار البقاء المفاجئ ، حدث

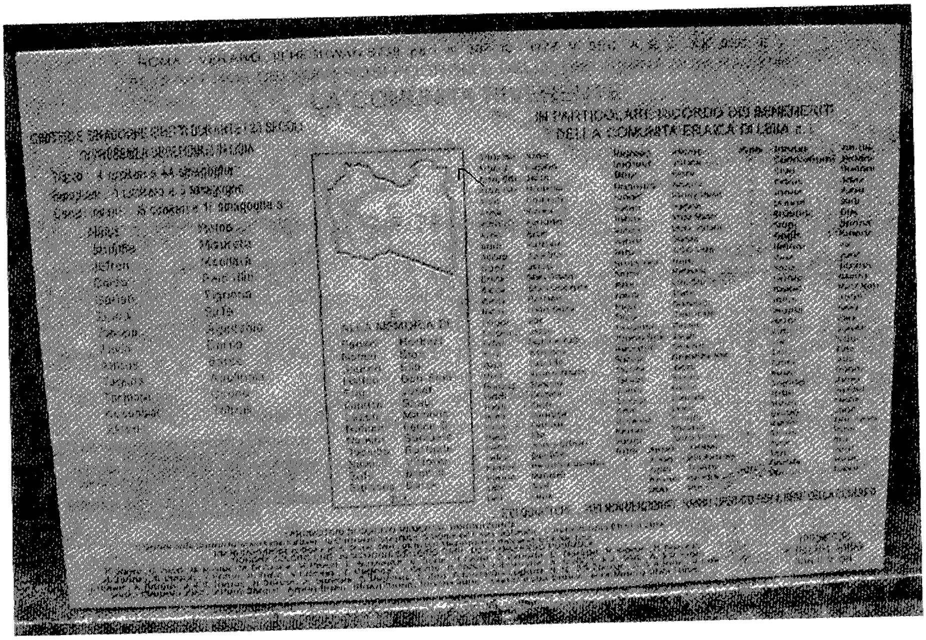

تذكار عليه أسماء اليهود الليبيين الذين قتلوا في
ليبيا في أحداث ١٩٤٥ و١٩٤٨ و١٩٦٧

منتديات الطريق الى السنّة http://www.way2sunnah.com/vb

بوسعدية الذي كان دائمًا في حارة اليهود في طرابلس

صورة جماعية لفصل في مدرسة يهودية في ليبيا ويبدو في الصورة من اليسار التلميذ الرابع ماموس والد رفائيل لوزون

http://www.way2sunnah.com/vb منتديات الطريق الى السنّة

ذلك كله من دون أن أودع أصدقائي في طرابلس .

عندما علمت بأحداث ١٩٦٧ تضايقت وكنا خائفين على أقاربنا وأصحابنا في طرابلس ، فقد علمنا أن أحداث الحرائق والقتل والضرب كانت مرعبة ، فتساءلت عن سبب ذلك من دون أن أجد جوابًا مقنعًا لأن الحياة في ليبيا كانت جميلة ومطمئنة آمنة» .

عندما دخلنا على جناح في مكتبه بمقر التلفزيون الإيطالي كان استقباله عاديًا ، ولكنني لاحظت عليه نوعًا من التبرم وعدم الثقة في ما أقوم به من عمل على هذا الكتاب ، لأنه أكثر من التعبير عن عدم ثقته في أن الأوضاع ستتحسن في ليبيا بعدما حدث عام ١٩٦٧ من مظاهرات واعتداءات على اليهود .

الخلاصة والاستنتاج

من خلال ما قمت به من حوارات، ومن خلال ما جمعته من معلومات أفرغت حصيلتها في هذا الكتاب، ومن خلال بعض المناشط التي أقامها اليهود الليبيون، ومن خلال اتصالات شخصية مع بعض منهم، وخصوصًا من خلال تعاملاتي الشخصية مع الشخصية الرئيسية في الكتاب (رفائيل لوزون) وعائلته، وكذلك مع غيره من أمثال رفائيل فلاح وآخرين، استطعت أن أكوّن صورة شخصية لليهودي الليبي، ربما تكون صورة غير واضحة بالشكل الكامل، ولكن هي على الأقل صورة اشترك في تكوينها عقلي وتفكيره مع وجداني وإحساسه مع خبرتي وملامساتها.

اليهودي الليبي ربما يكون متدينًا أو غير متدين، مثله مثل أي صاحب دين، هو يحب العمل من أجل الكسب، وقد يكسب مالاً ليصير غنيًا وقد يخسر أو لا يكسب فلا يكون غنيًا بالقدر الكافي أو قد يكون فقيرًا.

هو ليبي في سهولة التعامل معه، لأن الشخصية الليبية سهلة في المعاملة، واجتماعية، وتتسم بالكرم وبالبشاشة.

ونتيجة بحثي ومعاملاتي بينت لي أن اليهودي الليبي هو إنسان ليبي بالمعنى الكامل لكلمة ليبي، لأن كل شخص من هؤلاء الذين حاورتهم أو الذين تعاملت معهم رأيته مصرًا على أنه ليبي، ويرى أنه من العيب عليه أن

يقدم نفسه غير ليبي .

العجيب أن هؤلاء جميعًا اتفقوا في كون ليبيا أمهم ، وأصروا على انتمائهم إليها مهما وقع عليهم فيها من ظلم من أبنائها .

والأعجب أن حب ليبيا ينتقل إلى أبنائهم ممن ولدوا خارج ليبيا من السماع إلى حديث آبائهم وأمهاتهم وهم يحنون إلى ليبيا أو وهم يتذكرون الحياة فيها . تولد ذلك الحب الفطري بالتوارث ، حتى إنني علمت أن ابنة آلدو حبيب الذي يعيش في لندن منذ زمن بعيد ، وهي إعلامية ، تحب أن تزور ليبيا ، وهي مستعدة للعمل من أجل إعداد ملف إعلامي عن ليبيا ، وذلك بدافع الحب الذي ورثته من أبيها ومن أمها الإنجليزية ، التي عاشت في ليبيا فترة من الزمن جعلتها تتشرب هي الأخرى حب ليبيا .

الأمر الآخر الذي شدني ، هو أن هذا ليس حال اليهودي الليبي فقط ، بل هو أيضًا حال المسيحي الذي عاش في ليبيا أو ولد فيها ، مثل السيد جانكارلو كونسولاندي ، الذي ولد وعاش في ليبيا ، وبقي حب ليبيا في قلبه وهو يبدي استعداده دائمًا للخدمة من أجلها .

إذن اليهودي الليبي هو ليبي في صفاته وانتمائه ، غير أن هذا لا يعني أن اليهود الليبيين جميعهم في هذا الشكل وهذه الصفات ، فبعضهم ، من دون شك ، مختلف ، وهذا هو حال البشر ، غير أنني لم أجتمع بأيّ من هؤلاء .

اليهود الليبيون في ليبيا كانوا جزءاً من التركيبة والنسيج الاجتماعي فيها ، لبسوا لباس الليبيين وأكلوا طعامهم وشربوا ماءهم ، وشاركوا في فنونهم وتراثهم ، حتى يبلغ الأمر أن تتنوع عادات اليهود الليبيين بحسب تعدد أماكن عيشهم ، فاليهودي الذي عاش في طرابلس هو طرابلسي ، والذي عاش في طبرق هو شخص من طبرق ، والذي عاش في بنغازي هو شخص من بنغازي . الذي

عاش مع البدو وفي الصحراء هو بدوي ، والذي عاش في المدينة هو مدني في طبيعته .

الأكل الطرابلسي يتقنه اليهود الطرابلسيون في درجة إتقان غير اليهود أو ربما تفوقها ، وفي الذوق العام في اللباس والمشاركة الثقافية بما فيها الرياضية .

يخبرني الأستاذ السنوسي محمد(*) الباحث في ثقافة الشعر الشعبي أن الشاعر اليهودي كلمنتي أربيب المعروف باسم بوحليقة ، وهو من منطقة المرج ، فاق نظراءه من الشعراء ، خصوصًا عندما قال متحديًا الشعراء في نوع من النظم يسمى (الطق) :

انتي دورك ماح مزنكل
اطوال اشعل
اتقول نخل
مثيل البل
اللي ترسل
علي منهل
شرابه في ديموم يشل

ولولا أن جاء الشاعر عبدالهادي بونصر الله وقال ما يغلبه به لبقي بوحليقة هو السيد في التحدي .

قال بونصر الله متحديًا :

(*) الأستاذ السنوسي محمد باحث في الأدب الشعبي الليبي ومؤلف كتاب (المقام الليبي) وقد تحدث في كتابه هذا عن الشاعر اليهودي الليبي كلمنتي أربيب (بوحليقة) ، وأورد قصيدته كاملة وقصيدة الشاعر عبد الهادي بونصر الله كاملة أيضًا .

انتي شوفك شوف منعّل

خماس امتل

اربط في ظل

بين سلاسل

عليه اسم الـ

ويش تخايل

بهن بلكل

قند خلاهن وين صهل

أعتقد أن البحث في الحياة الاجتماعية اليهودية الليبية أمر مهم وخطير ، والمشكلة أن هذا المجال مهمل لأسباب عدة ، منها السياسية وأحداث الدنيا التي طغت عليه .

مراجعة هذه الملفات في منتهى الأهمية ، ونحن أولى بمواجهة تاريخنا الذي لم نعرفه ، ألم يكفنا بحثًا وتنقيبًا عن تاريخنا الذي شرفنا؟ ونحن نتعلم منه ، ألم يحن الوقت أن ننظر أيضًا في ما قد نخجل من ذكره والحديث فيه أو ما يستفزنا؟ ألسنا بشرًا؟ ألا نخطئ؟ ألا يمكن أن يكون خطؤنا أكثر من صوابنا بسبب بشريتنا؟

واقعنا المعيش يعكس لنا صورة ما ورثناه من أخطاء مارسناها في ماضينا ، ولم نعد نميز في كثير من الأحيان بين ما هو جيد وما هو سيئ .

هل غياب التعدد الثقافي أو تغييبه هو من الإيجابيات أم من السلبيات؟

في عالم اليوم ، وعصر العولمة ، الذي يجعل الدنيا قرية واحدة ، يحدث التقارب بين الثقافات ، كما يحدث الصراع والصدام ، يعرف كل إنسان ثقافة غيره بقدر ما يفاخر بثقافته مقابل الثقافات الأخرى ، يتولد الانسجام وقبول

الآخر بقدر ما يظهر على السطح نوع من العنصرية والتنافس .

الصراعات الإقليمية لم تعد تكفي ، صار يمكن لمن يعيش في أقصى الغرب أن يقاضي أو يساعد من هو في أقصى الشرق والعكس .

في هذا العالم ، ألم يحن الوقت بعد لمجتمع كالمجتمع الليبي أن يراجع مسألة اختلاف الثقافات والديانات في ليبيا؟

فإذا كان اليهودي الليبي يصر على ليبيته ، هل من العدل رفضه من دون النظر في قضيته؟ وإن كان هذا اليهودي مخطئًا هل من العدل أيضًا اعتبار خطئه هو خط النهاية ولا يكون رجوع بعده؟

ثم من في المجتمع الليبي يملك حق القبول والرفض؟

أعتقد أن الوقت فعلاً حان لمراجعة مسألة التعدد وقبول الأقليات التي ربما تتمثل في حدود الأقلية اليهودية .

هناك من ينادي بحقوق الأمازيغ العرقية واللسانية والثقافية والتاريخية ، هناك نوع من القبول يقابله نوع من الرفض ، كما أن هناك اختلافات في المناخات والأجواء وجوانب من طرائق العيش بين شرق ليبيا وغربها وجنوبها ، فليبيا فيها طوارق ، وفيها أمازيغ ، وفيها عرب . فيها مدن و فيها سواحل وفيها صحارى وفيها جبال . وهذه كلها يختلف بعضها عن بعض في مجالات . وهذا العصر يفرض على المجتمع الليبي أن يتداخل ويتكامل ويتعايش مع أمور مختلفة ، منها أهمية التداخل والتعايش والتكامل مع الملف اليهودي والنظر فيه ، لأن العولمة تعني تحول العالم إلى قرية واحدة فيها ديانات وأعراق وثقافات .

وهذا هو بداية الطريق لمعرفة الحقوق لكل طرف .

المجتمع الليبي قادر على أن يقدم أجمل نموذج للعالم من خلال سهولته ومرونته ، وكرمه الذي انطبع في جوانب كثيرة على اليهود الليبيين ، وبالتالي سيسهل الالتقاء .

الفهـــــرس

* تعليق على العنوان	5
* في هذا الكتاب	7
* مقـــدمـــة	9
* توضيح	15
* من القرآن الكريم	21
* الحياة الاجتماعية في العالم العربي والإسلامي حتى النظام العثماني	27
* مجمل ما وقع من أحداث (١٩٤٥-١٩٦٧)	29
* الحاج مختار الأسود	31
* مدخل مهم	39
* قصة رفائيل لوزون	43
* قصة رفائيل فلاح	101
* ألدو حبيب	117
* عائلة الزروق	127
* جانكارلو كونسولاندي	137
* عائلة فرجون	145
* رفائيل جناح	151
* الخلاصة والاستنتاج	155

I ASKED THEM, THEY SPOKE
A STUDY ON THE JEWS OF LIBYA

سياسة
POLITICS

سألتهم فتحدّثوا دراسة حول يهود ليبيا

◆ ربّما يقرأ القارئ نتيجة هذه الحوارات فيصل إلى نتيجة أتمنّى ألاّ أشكّلها أنا وحدي ، لأنّني هنا لست ناطقًا باسم أحد ، بل أنا ناقل وعامل على فتح أبواب للتعارف ومدّ الجسور بين من انقطع بعضهم من بعض ، فلربّما اكتشفوا جميعًا أنّ الأمر أسهل بكثير ممّا صوّرته سياسة التعقيد المسمّاة بـ (السياسة) وأساطينها .

أحمد الرحّال

◆ لقد استطاع الكاتب أن يكون ملتزمًا بالحياد إلى حدّ بعيد جدًّا ، فكان في محاوراته يهدف إلى بيان الحقيقة بعيدًا عن الشطط والمبالغة ومحاولة تغليب رأي على رأي آخر ، وبذلك تمكّن من أن يفتح الأبواب والنوافذ على كلّ الاتّجاهات في محاولة جادّة ولا شكّ أنّها مثمرة نحو تسليط الضوء على مواقع في جسم الوطن كانت مختفية عن الأنظار إلى سنوات طويلة .

محمّد طرنيش

◆ أنا أكثر الناس إحساسًا بالمعاناة ، الّتي يعيشها الفلسطينيّون في المخيّمات ، لأنّني أنا نفسي جرّبت هذه المعاناة في ليبيا قبل إخراجنا منها ، وفي إيطاليا كذلك .

رفائيل لوزون

ISBN 978-9953-36-233-5
9 789953 362335

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم، ص.ب: ١١-٥٤٦٠
هاتفاكس: ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨
http://www.airpbooks.com